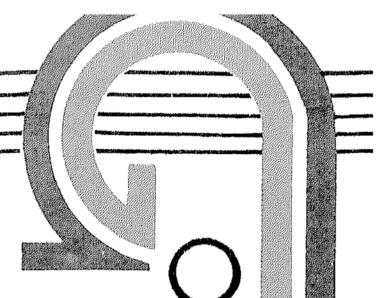
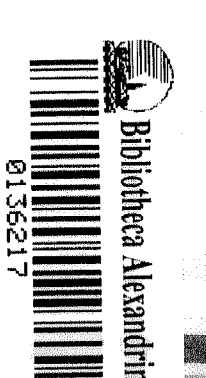


أهدافنا

أخطر قضايا المسلمين

عبد الحليم الكناني



دار الوفاء


أهدافنا
أخطر قضايا المسلمين

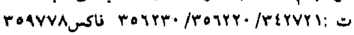
الطبعة الأولى

١٤١٨هـ ــ ١٩٩٨م

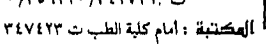


دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ ج.م.ع ـ المنصورة

الإدارة : ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب ص . ب ٢٣٠



ت : ٣٤٢٧٧٢١/ ٣٥٦٢٢٠/ ٣٥٦٢٣٠ فاكس ٣٥٩٧٧٨

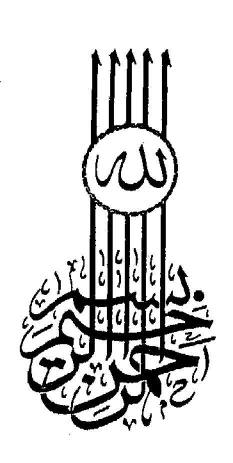


المكتبة : أمام كلية الطب ت ٣٤٧٤٢٣

أهدافنا

أخطر قضايا المسلمين

عبد الحليم الكناني


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى كل العاملين

بصدق وإخلاص وتجرد وثبات

لتحقيق الهدف المنشود

عبد الحليم الكنانى

الهدف

تساءلنا فيما سبق :

عن أخطر القضايا وأهم الأهداف فى حياة الإنسان المسلم؟

ومن نصوص الكتاب والسنة . . وفهم الصحابة والتابعين . . وآراء العلماء والفقهاء كانت الإجابة : أن الفوز برضا الله وجنته . . والنجاة من غضبه وناره هى أعظم الأهداف . . وأخطر القضايا . . فى حياة المسلم .

فهى غايته . . أو منتهى أهدافه فى الحياة .

ولنا أن نتساءل الآن :

ما هى أخطر القضايا وأهم الأهداف . . فى حياة الأمة المسلمة ؟ ابتداء ينبغى أن نقرر أنه لابد لهذه الأمة من رسالة . . ولابد لها من دور . . ولابد لها من عطاء تقدمه للبشرية جمعاء .

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وهذا ما ينبغى أن تدركه الأمة المسلمة لتعرف حقيقتها وقيمتها . . وتعرف أنها أخرجت لتكون طليعة . . ولتكون لها القيادة بما أنها خير أمة . . والله يريد أن تكون القيادة للخيرْ لا للشر فى هذه الأرض .

فواجبها أن تكون فى الطليعة دائما . . وفى مركز القيادة دائماً . . ولهذا المركز تبعاته فهو لا يؤخذ ادعاء . . ولا يسلم لها به إلا أن تكون هى أهلاً له .

وأول مقتضيات هذه المكانة . . أن تقوم على صيانة الحياة من الشر والفساد . فهى خير أمة أخرجت للناس . . لا عن مجاملة أو محاباة . . كلا إنما هو العمل الإيجابى لحفظ الحياة البشرية من المنكر وإقامتها على المعروف مع الإيمان الذى يحدد المعروف والمنكر .

وفى مسيرة الأمة التاريخية لابد لها من أهداف وأدوار تناسب ظروف الواقع الذى تمر به . . ومتغيرات العصر الذى تعيشه .

وسنحاول هنا أن نتعرف على إجابة هذا السؤال المطروح .

١ ـ أعظم الأهداف وأشرفها

الهدف الدائم

ـ إن الهدف الدائم للأمة المسلمة .. وهو أعظم الأهداف وأشرفها :

إنما هو تحقيق عبودية البشرية كلها لله . . وإبلاغها دعوته. . وإخضاعها لمنهجه . . حتى يتحقق الهدف الذى خلق اللّه الجن والإنس لأجله :

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦].

لقد جاء هذا الإسلام ليكون إعلاناً عاما لتحرير الإنسان فى الأرض من العبودية للعباد . . ومن العبودية لهواه . . فلا يكون هناك سلطان فى الأرض لغير اللّه .. ولا يدين العباد لسلطان قاهر إلا سلطان الله .

﴿ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف : ٩] .

وهذا الدين يريد أن يرد العالمين إلى ربهم ، وأن ينتزعهم

من العبودية لغيره . ومن ثم لم يكن بد للإسلام أن ينطلق فى الأرض لإزالة الواقع المخالف لذلك الإعلان العام . . وأن يوجه الضربات للأنظمة التى تعبد الناس لغير الله والتى تحول بينهم وبين الاستماع إلى البيان واعتناق العقيدة التى تريد بحرية لا يتعرض لها السلطان .

ولذلك انطلق المسلمون الأولون . . يعبرون الصحارى والقفار . . ويقارعون الجبابرة والطواغيت . . ويبذلون الدم والمال . . ويفارقون الأبناء والأوطان . . وامتدت فتوحاتهم فى أرجاء الأرض . . إبلاغاً لدين الله . . وإزالة لكل طاغوت . . يحول بين الناس وبين حرية اختيارهم للعقيدة التى يريدونها بمحض اختيارهم وإرادتهم .

وهذا ما عبر عنه الصحابى الجليل ربعى بن عامر . . فى مواجهة قادة الفرس : « إن الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة اللّه . . ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة » .

وهو ما حدا بالقائد العبقرى عقبة بن نافع أن يدفع بفرسه فى مياه المحيط قائلاً : « والله ، لو أعلم أن وراء هذا الماء أناسا لخضته فى سبيل اللّه » .

٢ ـ اختلاف الأهداف باختلاف الواقع

إن الباحث المدقق فى تاريخ الأمة المسلمة .. وأصول الإسلام الحنيف .. يخرج بنتيجة مؤكدة .. وحقيقة لا يمارى فيها أحد .. وهذه الحقيقة هى :

أن الأهداف المرحلية والموصلة للهدف الأعظم ترتبط دائماً بالظروف والواقع الذى تعيشه الأمة المسلمة .

فلو أننا عدنا إلى الوراء أربعة عشر قرنا من الزمان .. وتصورنا أننا نعيش فى عصر الخلافة العمرية .. فماذا كانت أهداف المسلمين فى هذا العصر ؟

ـ أكانت أهدافهم إقامة دولة مسلمة تطبق شريعة اللّه ؟

ـ أكانت أهدافهم استرجاع الخلافة الإسلامية ؟

بالطبع لا . فالدولة الإسلامية قائمة .. والشريعة مطبقة.. والخلافة فى قوة وتبسط نفوذها على جزء كبير من الأرض .

إذن فما الأهداف التى كانت تناسب واقع المسلمين فى

ذلك العصر ؟

لقد كانت أهداف المسلمين فى ذلك الوقت هى المحافظة على كيان دولة الخلافة القائمة .. ونشر دعوتها .. وتوسيع رقعتها .. والسعى من أجل تبليغ دعوة الإسلام للعالم أجمع.. ومن هنا كانت الفتوحات الإسلامية شرقا وغربا .. لتحقيق ذلك الهدف المنشود .

ولنا أن نتساءل :

فما كانت أهداف المسلمين فى عصر القائد صلاح الدين الأيوبى ؟

وماذا كانت أهدافهم فى عصر السلطان المظفر قطز ؟

وماذا كانت أهدافهم فى عهد الحملة الفرنسية ؟

نستطيع مما سبق استنتاج أهم الأهداف التى شغلت المسلمين فى هذه الفترات المختلفة .. ولكن التساؤل الذى يحتاج إلى إجابة صحيحة ودقيقة هو :

ما هى أخطر القضايا وأعظم الأهداف للمسلمين فى هذا العصر الذى نعيشه وبما يحيطه من ظروف وملابسات ؟

٣ ـ أهداف وقضايا على الساحة

اختلفت تصورات الدعاة والعاملين للإسلام .. حول أخطر القضايا وأهم الأهداف التى يجب أن يسعى إليها المسلمون.. ويوجهوا جهودهم وطاقاتهم لتحقيقها .

وهذا الاختلاف يرجع لأسباب متعددة منها :

أولاً : اختلاف درجات الفهم للإسلام نفسه عند الدعاة والعاملين .

ثانيا : اختلاف درجات الوعى بواقع الأمة الحالى : وما يتطلبه هذا الواقع من أهداف ووسائل .

ثالثا : اختلاف ظروف النشأة والتربية والمناخ الذى تربى فيه الدعاة .

رابعا : تفاوت الهمم واختلاف درجات الاستعداد للعمل والبذل والتضحية .

وهذا الاختلاف فى التصورات .. أوجد اختلافاً كبيراً .. فى الأهداف المطروحة على الساحة .. من قبل الدعاة والعاملين للإسلام .

ـ فبعض الدعاة هاله ما يراه فى عوام المسلمين من جهل وبدع وخرافات . . فجعل هدفه (تنقية العقيدة ومحاربة البدع والخرافات المنتشرة بين المسلمين) .

ـ وبعضهم أثر فى نفسه التقصير الشديد من عامة المسلمين فى أركان الإسلام الأساسية ، وعلى الأخص الصلاة . . فجعل هدفه (دعوة المسلمين للمساجد ، وحضهم على المحافظة على الصلاة والتزام المساجد) .

ـ وبعضهم قد أعجب بما تعلمه من سنة المصطفى ﷺ فى العبادات والآداب . . ورأى ابتعاد المسلمين عن الالتزام بها . . فجعل هدفه (دعوتهم للاقتداء بالرسول ﷺ فى هذه السنن والآداب) .

ـ وبعضهم درس العلوم الشرعية واطلع على التراث الإسلامى العظيم . . فأفزعه ما به من شوائب لها أثرها الضار فى عقول وأفكار المسلمين . . من إسرائيليات فى التفسير وموضوعات فى الأحاديث . . وأباطيل فى السيرة . . فجعل هدفه (تنقية تراث الإسلام من هذه الشوائب والإسرائيليات والموضوعات) .

ـ وبعضهم قد تأثر بما ورد فى الشرع من ثواب لأعمال

البر المختلفة . . وما أعده الله سبحانه وتعالى لأصحابها من الفضل العظيم . . فجعل هدفه (خدمة المسلمين والقيام بأعمال البر المختلفة من كفالة أيتام وخدمة الفقراء وتوزيع الصدقات وغيرها) .

ـ وبعضهم قد أنكر بشدة غياب أحكام الإسلام وشريعته من واقع الحياة . . وغلبة القوانين والأعراف والثقافات الغربية والمخالفة للشرع على كل مظاهر الحياة . فجعل هدفه (الدعوة لتطبيق شريعة الله والعمل على إقامة دولة إسلامية تحكم بها) .

وغير ذلك كثير كثير .

وإنما هى أمثلة أوردناها على سبيل المثال لا الحصر .

ومن طريف ما يروى فى هذا الشأن . . أن إحدى الجمعيات التى قامت بمصر فى فترة من الفترات كانت تسمى جمعية « حتى شكة الشوكة » ، وكان يرأسها أحد علماء الأزهر الشريف ، وكان هدفها (تبشير المسلمين جميعاً بأن ما يصيبهم من مصائب إنما هو تكفير لسيئاتهم ومحو لخطاياهم . . وذلك تصديقاً لحديث الرسول ﷺ : « ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه » متفق عليه .

ولا شك أن كل من عمل لنفع الإسلام والمسلمين بصورة من الصور .. وأخلص فى عمله لله .. فهو مأجور ومثاب بإذن الله .. ما لم يكن فى عمله صد عن طريق أفضل لنفع الإسلام والمسلمين أو تعصب بالباطل أو اتباع لهوى أو تجريح لغيره من العاملين .

ولكن فى كل الأحوال يحق لنا أن نتساءل .. أى الأهداف السابقة أهم ، وأى هذه القضايا أخطر وأولى وأحق بالاهتمام وتجميع الجهود ؟

٤ ــ موازين التفاضل بين الأهداف

ولتحديد أهم الأهداف وأخطر القضايا فى حياة المسلمين، لابد أن يكون ذلك بناء على موازين سليمة .. تستند إلى قواعد صحيحة ، لا دخل للهوى أو الأغراض الشخصية أو لتأثير النشأة والتربية أو للتعصب فيها .

وهنا لابد من معرفة قيم الأعمال ومراتبها الشرعية والاحتفاظ لكل منها بموضعه فى سلم الأوامر والنواهى .. دون خلط .. أو إخلال بالنسب .. أو تفريق بين المتماثلات أو تسوية بين المختلفات .

لقد وضع الإسلام لكل عمل قيمة خاصة بحسب تأثيره فى النفس والحياة .. ما علمنا منها وما لا نعلم .

كما وضع للأمور المحظورة درجات ونسب أيضاً .. حسب ضررها وآثارها المادية والمعنوية أيضاً .

ومن هنا كانت المأمورات فى الإسلام مراتب ودرجات[١] :

(١) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف / ١٧٤ ــ ١٧٦ .

ـ منها المستحب الذى رغب الشرع فى فعله ولا حرج فى تركه .

ـ ومنها المسنون سنية مؤكدة ، وهو ما واظب النبى ﷺ على فعله ولم يتركه إلا نادراً ، ولم يطلبه طلباً جازماً .

ـ ومنها الواجب كما فى بعض المذاهب ، وهو ما أمر به الشارع وإن لم يصل الأمر إلى درجة القطع .

ـ ومنها الفرض ، وهو ما ثبت وجوبه بطريق قطعى لا شبهة فيه ، ورتب الشارع على فعله الثواب وعلى تركه العقاب، ويلزم من تركه الفسق ومن جحده الكفر .

ومن المعلوم أن الفرض نوعان :

فرض كفاية (إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين) .

وفرض عين على كل من يلزمه .

وفرض العين كذلك درجات :

ـ والإسلام ، ولا شك ، يقدم فرض العين على فرض الكفاية . . ولهذا يقدم بر الوالدين وطاعتهما على الجهاد ما دام فرض كفاية ولا يسمح للابن بالجهاد حينئذ بغير إذن الوالدين .

ـ ويقدم فرض العين المتعلق بحق المجموع على الفرض

المتعلق بحق فرد أو أفراد . . كالجهاد وبر الوالدين . . فالجهاد إذا أصبح فرض عين على قوم مقدم على حق الوالدين فى البر والطاعة .

ـ ويقدم الفرض على الواجب ، والواجب على السنة ، والسنة المؤكدة على المستحبة .

ـ ويقدم ما يتعدى نفعه إلى الغير على ما يقتصر نفعه على فاعله .

(ولهذا يفضل الجهاد على العبادة الفردية ، ويفضل الفقه والعلم على العبادة ، والفقيه على العابد) .

ـ وتقدم أعمال القلوب على أعمال الجوارح ، وتقدم العقيدة على العمل .

كما أن الأمور التى ينهى عنها الإسلام تتخذ أيضا مراتب ودرجات :

ـ منها المكروه تنزيها ، وهو ما كان إلى الحلال أقرب .

ـ ومنها المكروه تحريما ، وهو ما كان إلى الحرام أقرب .

ـ ومنها المشتبهات التى لا يعلمهن كثير من الناس .

ـ ومنها الحرام الصريح الذى فصله الله فى كتابه وسنة رسوله ﷺ .

والحرام نوعان : صغائر وكبائر :

ــ والصغائر : تكفرها الصلاة والصيام والصدقة .

ــ والكبائر تتفاوت ، فمنها ماعده النبى ﷺ أكبر الكبائر وهو الشرك بالله . ومنها السبع الموبقات ، مثل : عقوق الوالدين ، وشهادة الزور ، والسحر ، وقتل النفس ، وأكل الربا ، وقذف المحصنات المؤمنات .

وبناء على ما سبق من تحديد لمراتب الأعمال وأهميتها والتفاضل بينها .. نستطيع أن نوازن بين ما سبق من الأهداف.. وتحديد أيها أولى وأهم وأخطر .

أهدافنا

الفرائض الغائبة

وبناء على ما سبق أن قررناه من موازين للتفاضل بين الأهداف .. وبتطبيق تلك الموازين على الأهداف المطروحة على ساحة العمل الإسلامي .. واستعراض هذه القضايا والأهداف من النواحي الشرعية والعقلية والتاريخية ـ ترجح لدينا اجتهاد مؤسس الحركة الإسلامية الحديثة .. ومن سار على دربه من الدعاة العاملين .. حين أدركوا أن هناك فرائض متعددة قد غابت عن حياة المسلمين ، وكل فريضة منها قد أصبحت فرض عين على كل مسلم .. وأن غيابها إثم واقع على كل مسلم .. خصوصاً وأن غيابها صاحبه غياب الكثير من الفرائض المترتبة عليها ، وصاحبه غياب مصالح ومنافع للمسلمين كثيرة وحدوث مضار ومصائب جمة .

وفى اجتهاد أئمة الدعوة أن هذه الفرائض هى :

أولاً : غياب الخلافة الإسلامية وتمزق الأمة الإسلامية دولاً ودويلات متفرقة لا رابط بينها .

ثانيا : غياب الشريعة الإسلامية وغلبة القوانين الوضعية .

ثالثا : اغتصاب المقدسات والأراضى الإسلامية .

رابعا : اضطهاد الأقليات المسلمة فى جميع أنحاء العالم .

وسنحاول فى الصفحات التالية استعراض تلك القضايا بشىء من التفصيل الواجب ، حتى يتبين وجه الحق فيها .. ورائدنا فى ذلك السعى للحق والصواب .. دون استجابة لداعى هوى أو تعصب .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق : ٣٧] .

أولا :

الخلافة .. فريضة ضائعة

الخلافة .. فريضة ضائعة

الخليفة : اسم يقال لمن استخلفه غيره ، ولمن خلف غيره فى أمر من الأمور .

والإمام : هو كل من ائتم به قوم سواء كانوا على هدى أو ضلالة .

ويراد بالخليفة عند الإطلاق من يتولى إمرة المسلمين ، ويسمى أيضا بالإمام الأعظم .

وتسمى الخلافة بالإمامة العظمى أو الكبرى تمييزا لها عن الإمامة الصغرى وهى إمامة الصلاة .

وعرفها العلماء بتعريفات متعددة :

يقول ابن خلدون :

« الخلافة هى حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعى فى مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها ، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشرع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة . . . فهى فى الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا به » (١) .

---

(١) المقدمة / ١٨٠ .

ويقول البيضاوى :

« الإمامة عبارة عن خلافة شخص من الأشخاص للرسول ﷺ فى إقامة القوانين الشرعية .. وحفظ حوزة الملة على وجه يوجب اتباعه على كافة الأمة » (١) .

ويقول التفتازانى :

« رئاسة عامة فى الدين والدنيا خلافة عن النبى ﷺ » .

ويقول الماوردى :

« الإمامة موضوعة لخلافة النبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا » (٢) .

ويقول الأيجى :

« خلافة الرسول ﷺ فى إقامة الدين بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة » (٣) .

---

(١) مطالع الأنظار على طوالع الأنوار .
(٢) الأحكام السلطانية / ٣ .
(٣) المواقف / ٣٩٥ .

وجوب إقامة الخلافة

الخلافة فريضة واجبة . . تستند فى وجوبها على أدلة نقلية وعقلية مؤكدة . . ونستعرض هنا بعض الأدلة النقلية من الكتاب والسنة وفتاوى العلماء .

١ ـ من الكتاب :

قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾ [النساء : ٥٩] .

والمقصود بأولى الأمر : هم الأئمة الذين يتولون الأمر واحداً بعد الآخر . . وفى ذلك يقول الإمام الماوردى: « ورجح العلماء أن أولى الأمر فى الآية هم الأمراء » [١] .

٢ ـ من السنة القولية للرسول ﷺ :

ـ قول الرسول ﷺ : « إن بنى إسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبى خلفه نبى ، وإنه لا نبى بعدى ، وسيكون خلفاء فيكثرون » قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : « أوفوا

---

(١) الأحكام السلطانية / ٥ .

ببيعة الأول فالأول ، أعطوهم حقهم ، فإن الله سائلهم عما استرعاهم » رواه البخارى ومسلم وابن ماجة وأحمد .

ـ وعن أبى أمامة الباهلى عن رسول الله ﷺ قال : «لينقضن عرى الإسلام عروة عروة ، وكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتى تليها ،وأولها نقضاً الحكم ،وآخرها الصلاة » رواه أحمد والحاكم .

ـ وعن النعمان بن بشير قال : كنا قعوداً فى مسجد رسول الله ﷺ ، فجاء أبو ثعلبة الخشنى . فقال : يا بشير بن سعد، أتحفظ حديث رسول اللّه ﷺ فى الأمراء ؟ فقال حذيفة : أنا أحفظ خطبته : قال رسول الله ﷺ :

« تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها .

ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها .

ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء اللّه أن يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها .

ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء اللّه أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها .

ثم تكون خلافة على منهاج النبوة » رواه أحمد وأبو داود والترمذى .

ـ عن عرفجة الأشجعى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد ، يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه » رواه مسلم فى صحيحه .

ـ وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا بويع لخليفتين ، فاقتلوا الآخر منهما » رواه مسلم وأحمد .

ـ وقال رسول اللّه ﷺ : « من مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » رواه مسلم .

« من فارق الجماعة شبراً فمات فميتته جاهلية » رواه البخارى ومسلم .

ـ وقال رسول الله ﷺ : « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » رواه البخارى ومسلم والترمذى .

٣ ـ من السنة الفعلية :

وتؤخذ من حياة الرسول ﷺ .. وإقامته أول دولة

إسلامية فى المدينة بعد هجرته إليها . . وكان هو ﷺ أول رئيس لها . . وما معاهداته مع اليهود وغيرهم وقيادته للغزوات وغيرها إلا مظهر من مظاهر سلطانه كرئيس لدولة الإسلام .

وقد أدرك الفقهاء اجتماع صفة الإمام مع صفة النبوة فى شخص الرسول الكريم ، وبينوا حكم ما يصدر عنه بهذه الصفة أو تلك (١) .

٤ ــ إجماع الصحابة رضوان الله عليهم :

أجمع الصحابة ــ وهم أدرى الناس بأصول الإسلام ــ على أن يقيموا على رأس الدولة من يخلف الرسول الكريم . . وما إن تحقق أبو بكر من وفاة الرسول الكريم حتى خرج على الناس يقول لهم : « ألا إن محمداً قد مات . . ولابد لهذا الدين ممن يقوم به » .

فترك الصحابة تجهيز النبى ولم يدفنوه حتى أقاموا أبا بكر خليفة له .

والإجماع مصدر من مصادر الشريعة ، يلزم المسلمين كما يلزمهم النص . . وإن اتفاق الصحابة دليل على اقتضاء الشرع لإقامة خليفة لرسول الله . . وصحابة الرسول خير من يفهم

---

(١) أصول الدعوة / ١٩٥ .

الإسلام ويعرف الوجوب والجواز ويفرق بين الحلال والحرام[1].

وإذا كان الصحابة قد اختلفوا فيما بعد على الخلافة .. فينبغى أن نعلم أن الخلاف كان على الشخص الذى يملأ الوظيفة لا على وجوب الخلافة وفرضيتها وعلى وجوب إقامتها[2].

ويؤكد ذلك ما روى عنهم رضوان الله عليهم من أقوال مؤكدة لهذا الإجماع :

قال عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه :

« لا إسلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمارة .. ولا إمارة إلا بطاعة » رواه الدارمى عن تميم الدارى .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه :

« لابد للناس من إمارة برة كانت أو فاجرة . فقيل : يا أمير المؤمنين، هذه البرة قد عرفناها ، فما بال الفاجرة ؟ فقال : يقام بها الحدود ، وتأمن بها السبل ، ويجاهد بها العدو ، ويقسم بها الفيء » .

---

(١) الإسلام وأوضاعنا السياسية / ٩٧ .

(٢) مقدمة ابن خلدون / ٤٨١ ، الإسلام وأوضاعنا السياسية / ٩٨ .

٥ ــ إجماع العلماء والفقهاء :

١ ــ يقول الإمام الماوردى الشافعى وأبو يعلى الحنبلى :

« عقد الإمامة لمن يقوم بها فى الأمة واجب بالإجماع وإن شذ عنهم الأصم » (١) .

٢ ــ ويؤصل ابن خلدون فيقول :

« إن نصب الإمام واجب ، فقد عرف وجوبه فى الشرع بإجماع الصحابة والتابعين لأن أصحاب رسول الله ﷺ عند وفاته بادروا إلى بيعة أبى بكر رضى الله عنه وإلى تسليم النظر إليه فى أمورهم . . وكذا فى كل عصر من الأعصار . . واستقر ذلك إجماعاً دالاً على وجوب نصب الإمام » (٢) .

٣ ــ ويحكى ابن حزم الإجماع على وجوب الإمامة فيقول :

« اتفق جميع أهل السنة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة . . وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيها أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة التى أتى بها رسول الله ﷺ حاشا النجدات من الخوارج » (٣) .

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردى / ٣ ، والأحكام السلطانية لأبى يعلى / ٧ .
(٢) مقدمة ابن خلدون / ١٩١ .
(٣) الفصل / ٤ / ٨٧ .

٤ ــ ويقول الإمام القرطبى :

« ولا خلاف فى وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة : إلا ما روى عن الأصم حيث كان عن الشريعة أصم » [١] .

٥ ــ ويقول الإمام النووى :

«وأجمعوا على أنه يجب على المسلمين نصب خليفة»[٢].

٦ ــ ويقول إمام الحرمين الجوينى :

« فنصب الإمامة عند الإمكان واجب .. وذهب عبد الرحمن بن كيسان إلى أنه لا يجب وهو مسبوق بإجماع من أشرقت عليه الشمس شارقة وغاربة .. واتفاق مذاهب العلماء قاطبة » [٣] .

٧ ــ ويقول ابن حجر الهيثمى :

« اعلم أيضاً أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعوا على أن نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوة واجب .. بل جعلوه أهم الواجبات حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله ﷺ» [٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن / ١/ ٢٦٤ .

(٢) شرح النووى على مسلم / ١٢ / ٢٠٥

(٣) الغياثى / ٢٢ .

(٤) الصواعق المحرقة للهيثمى / ٧ .

* أمر الرسول ﷺ باتخاذ الإمارة :

ـ قال ﷺ : « إذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم » رواه أبو داود من حديث أبى سعيد .

ـ قال ﷺ : « لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم » .

ويعلق الإمام ابن تيمية قائلاً :

« فأوجب ﷺ تأمير الواحد فى الاجتماع القليل العارض فى السفر تنبيها بذلك على سائر أنواع الاجتماع » (١) .

ويقول الشوكانى : « وإذا شرع هذا لثلاثة فى فلاة من الأرض أو مسافرين فشرعيته أولى لعدد أكثر يسكنون القرى والأمصار ، ويحتاجون لدفع التظالم والفصل فى الخصومات»(٢).

* الخلافة ضرورة لتطبيق الشريعة :

إن الكثير من الواجبات الشرعية يتوقف على إقامة خليفة أو إمام.. وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب شرعاً.. كما

(١) السياسة الشرعية .

(٢) نيل الأوطار / ٨ / ٤٩٦ .

أن فى نصب الإمام دفع ضرر ، وإزالة الضرر تجب شرعاً . . وفيه أيضاً جلب منافع للأمة وهو واجب أيضاً .

ذلك أن مقصود الشارع فيما شرع من المعاملات والمناكحات والجهاد والحدود وشعائر الشرع وغيرها إنما هو مصالح عائدة على الخلق . . وهذه المصالح لا تتم إلا بإمام يرجعون إليه فيما يختلفون فيه . . وهم مع اختلاف الأهواء وتشتت الآراء كلما ينقاد بعضهم لبعض فيفضى ذلك إلى التنازع والنوائب وربما أدى إلى إهلاكهم جميعاً .

والتجربة تشهد بذلك وتشهد بأن عدم إقامة خليفة يؤدى إلى تعطيل الدين والخروج عن الإسلام وتفرق المسلمين [١] .

ويقول الإمام ابن تيمية :

« ولأن الله أوجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . . ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة . . وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم وإقامة الحدود . . لا تتم إلا بالقوة والإمارة » [٢] .

وقول الإمام على رضى الله عنه : « لابد للناس من إمارة

---

(١) الإسلام وأوضاعنا السياسية / ٩٨ .

(٢) السياسة الشرعية / ١٨٥ .

برة كانت أو فاجرة » .. وعلل ذلك بأنها يقام بها الحدود..
وتأمن بها السبل .. ويجاهد بها العدو .. ويقسم بها الفيء ».

الخلافة واجبة عقلاً

وكما يوجب الشرع الخلافة فإن العقل يوجبها أيضا .. لأن وجود الحكومة فى الجماعة إنما هو ضرورة اجتماعية .. فالبشر يستحيل عليهم أن يعيشوا منفردين ، ولابد أن يتجمعوا، تدفعهم لذلك المصلحة والضرورة . فإذا اجتمعوا تزاحموا وتنافسوا وتغالبوا وفرقت بينهم المصالح والمنافع وقامت بينهم الخصومات . فلابد لهم من حاكم يتزعمهم ويفصل فى خصوماتهم ويحملهم على سلوك السبيل القويم [1] .

وفى هذا يقول الإمام الماوردى :

« ... وجبت بالعقل لما فى طباع العقلاء من التسليم لزعيم يمنعهم من التظالم ويفصل بينهم فى التنازع والتخاصم»[2] .

---

(١) الإسلام وأوضاعنا السياسية / ١٠١ .

(٢) الأحكام السلطانية / ٥ .

حين تغيب الخلافة

تعتبر الخلافة فريضة من فروض الكفايات كالجهاد والقضاء.. فإذا قام بها من هو أهل لها سقطت الفريضة عن الكافة .. وإن لم يقم بها أحد أثم كافة المسلمين حتى يقوم بأمر الخلافة من هو أهل لها .

ويرى البعض أن الإثم يلحق فئتين فقط من الأمة الإسلامية ، أولاها أهل الرأى حتى يختاروا خليفة .. والثانية من تتوفر فيهم شرائط الخلافة حتى يختار أحدهم خليفة .

والحق أن الإثم يلحق الكافة ؛ لأن المسلمين جميعاً مخاطبون بالشرع وعليهم إقامته ، ومن أول واجباتهم أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ــ وليس أحدهم مأمور بأن ينظر فقط إلى نفسه وما فى يده من الأمر .. وإنما عليه أن يعمل على إقامة الدين على نفسه وعلى غيره .

وإذا كان الاختيار متروكاً لفئة من الناس .. فإن من واجب الأمة كلها أن تحمل هذه الفئة على أداء واجبها وإلا شاركتها فى الإثم (١) .

---

(١) الإسلام وأوضاعنا السياسية / ٩٤ ، ٩٥ .

كيف هدمت الخلافة ؟

انتهت الحرب العالمية الأولى بهزيمة ألمانيا وحليفتها تركيا . . ودخلت الجيوش الإنجليزية واليونانية والإيطالية والفرنسية أراضى الدولة العثمانية . . وسيطرت على جميع أراضيها . . ومنها العاصمة إستانبول .

ولما بدأت مفاوضات مؤتمر لوزان لعقد صلح بين المتحاربين اشترطت إنجلترا على تركيا أنها لن تنسحب من أراضيها إلا بعد تنفيذ الشروط التالية :

١ ــ إلغاء الخلافة الإسلامية وطرد الخليفة من تركيا ومصادرة أمواله .

٢ ــ أن تتعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة .

٣ ــ أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام .

٤ ــ أن تختار لها دستوراً مدنيا بدلاً من دستورها المستمد من أحكام الإسلام .

ونفذ أتاتورك هذه الشروط ، وألغيت الخلافة رسميا عام ١٩٢٤ م .

ويوضح حقيقة الأمر ما حدث فى مجلس العموم البريطانى حين وقف كيرزون ــ وزير خارجية إنجلترا ــ يستعرض ما حدث فى تركيا .. واحتج بعض النواب الإنجليز عليه واستغربوا كيف اعترفت إنجلترا باستقلال تركيا التى يمكن أن تجمع حولها الدول الإسلامية مرة أخرى وتهجم على الغرب.

فأجاب كيرزون : لقد قضينا على تركيا .. التى لن تقوم لها قائمة بعد اليوم .. لأننا قضينا على قوتها المتمثلة فى أمرين: الإسلام والخلافة .

فصفق النواب الإنجليز كلهم .. وسكتت المعارضة (١) .

وحين أسقطت الخلافة سيطر الحزن والأسى والذهول على المسلمين فى أنحاء العالم ، وكانت مأساة حقيقية انفطرت لها القلوب .. فهذا عالم جليل من علماء الأزهر الشريف يتساءل فى ذهول :

« خليفة يخلع .. وخلافة تلغى .. وأموال تصادر .. وأوقاف تضم إلى أملاك الدولة .. وتعليم دينى يمحى ..

---

(١) قادة الغرب يقولون .

ومحاكم شرعية تغلق .. وأسرة عثمانية تطرد من آفاق البلاد وتحرم حتى من جنسيتها التركية .. فما معنى هذه العاصفة الهوجاء ؟

عجيب أمر هؤلاء الذين تسللوا فى جنح الظلام إلى كهوف الأناضول وظلوا يهتفون باسم الإسلام حتى حازوا فخار النصر.. كيف ارتدوا على أدبارهم يحاربون الإسلام بأسوأ أداة ملكتها أيديهم فى أعز عزيز على العالم الإسلامى وهو نظام الخلافة » (١) .

وانطلقت مشاعر أمير الشعراء أحمد شوقى تبكى الخلافة الضائعة :

ضجت عليك مآذن ومنابر
وبكت عليك ممالك ونواح
الهند والهة ومصر حزينة
تبكى عليك بمدمع سحاح
والشام تسأل والعراق وفارس
أمحا من الأرض الخلافة ماح

(١) الشيخ محمد شاكر ــ الأخبار ــ عن الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر .

ثانيا :

الشريعة .. فريضة معطلة

الشريعة الإسلامية .. فريضة معطلة

والشريعة فى اللغة : مورد الماء الذى يقصد للشرب .

يقال : شرعت الإبل : إذا وردت شريعة الماء .

واستعملت فى لغة العرب بمعنى الطريق المستقيم .

يقال : شرع له الأمر : سنه وبين طريقته .

وسميت الشريعة بذلك تشبيهاً بشريعة الماء .. من حيث أن من شرع فيها على الحقيقة روى وتطهر .

والشريعة الإسلامية : ما شرعه الله لعباده من العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات ونظم الحياة فى شعبها المختلفة.

وجوب تطبيق الشريعة :

إن شريعة الله فريضة واجبة التطبيق .. وهذا الوجوب يستند إلى أدلة مؤكدة وصريحة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما فهمه الصحابة والتابعون .. ومن بعدهم فقهاء الإسلام .. نطقت به أقوالهم وفتاواهم الواضحة .. الصريحة وامتلأت بها كتب التفسير والحديث والفقه والأصول .. بما لا يدع مجالاً لإنكار منكر أو تشكك متردد مرتاب .

أولاً : من الكتاب :

ففى مكة قبل نزول آيات الأحكام ورب العالمين يخاطب الرسول ﷺ ويخاطبنا من بعده : ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا** ... ﴾ [الجاثية:١٨] .

ثم يبين الحق سبحانه وتعالى .. أن كل رسالات المرسلين السابقين .. كانت تحمل شرائع ربانية لتنظيم حياة البشر .. وأن هذه الشرائع كانت واجبة التطبيق .. وعلى هذا النسق جاءت التوراة تتضمن عقيدة وشريعة .. وكلف أهلها أن يتحاكموا إليها فى كل شؤون حياتهم : ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ** ... ﴾ [المائدة: ٤٤ ، ٤٥] .

ــ ثم جاء عيسى عليه السلام .. أرسله الله إلى بنى إسرائيل .. ومن ثم جاء مصدقاً لشريعة التوراة مع بعض تعديلات لرفع بعض الأثقال التى فرضت عليهم فى صورة عقوبات تأديبية .. أو كفارات عن معصية .. وقد أقرت هذه الشريعة المعدلة لتكون نظاماً للحكم والحياة أيضا: ﴿ **وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا** ...﴾ [المائدة: ٤٦ ، ٤٧] .

ــ ثم جاء خاتم النبيين محمد ﷺ بخاتم الشرائع ..

مصدقاً لما سبقه ومهيمناً عليه فكانت شريعة الإسلام .. هى التشريع الذى ارتضاه الحق سبحانه وتعالى للبشرية حتى قيام الساعة ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ... ﴾[المائدة: ٤٨ـ٥٠] .

ـ وتتوالى آيات القرآن الكريم .. واضحة وصريحة .. فى تأكيد هذا الوجوب :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً ﴾ [النساء: ٦٠ ، ٦١] .

﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ [النساء: ٦٥] .

إن ظاهر الآية يدل: على أن من لم يتحاكم إلى شريعة الله راضياً مستسلماً فليس بمؤمن ، ولم ترد هنالك أدلة أقوى أو تساوى هذا الدليل بل لم ترد أدلة دونه فى الدلالة والإثبات تستطيع أن تخرج هذا المعنى الظاهر عن ظاهره .

ويقول ابن حزم : « هذا نص لا يحتمل تأويلا ولا جاء نص يخرجه عن ظاهره أصلاً ، ولا جاء برهان بتخصيصه فى بعض وجوه الإيمان » .

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ... ﴾ [الأحزاب :٣٣ ـ ٣٦] .

وفى تناول آيات القرآن الكريم للأحكام التفصيلية للشريعة. . نجد التأكيد على وجوب تطبيق أحكام الشريعة . . والترهيب من تركها أو التهاون فى تنفيذها :

ـ فى سورة النور . . وقبل التعرض لأحكام الشريعة فى الأسرة والحدود المتعلقة بها من زنا وقذف وغيرها . . نجد الحق سبحانه يفتتح السورة كالتالى :

﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النور:١] .

إن من الجدير بالملاحظة بصفة خاصة فى جملة ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾ من هذه الآية توكيد الله تعالى لكلمة (نا) وهو مما يشير إلى أنه ليس منزل هذه السورة بناصح ضعيف لا حيلة له

ولا قوة . . بل هو الذى بيده نفوسكم ومقاديركم وليس لكم أن تعجزوه وتفلتوا من مؤاخذته فى الحياة ولا بعد الممات .

وفى الجملة الثانية : ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ : أى أن ما تحتوى عليه هذه السورة من الآداب والتعليمات والأحكام فى الحلال والحرام والأمر والنهى والحدود . . ليست بمثابة التوصيات حتى تكونوا بخيار من الاعتقاد أو عدم الاعتقاد بها حسب مرضاتكم . . بل إنها أحكام قاطعة لابد لكم أن تتبعوها وتكيفوا شؤون حياتكم الفردية والاجتماعية على حسبها .

وفى الجملة الثالثة : ﴿ وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ أى أن هذه الأحكام ليس فيها شىء من الالتباس والإبهام ، بل هى أحكام واضحة بينة لا يمكنكم أن تعتذروا عن العمل بها بأنكم لا تفهمونها .

فهذه الجمل الثلاث كأنها مقدمة لمرسوم ملكى فيها التنبيه على مدى اهتمام الحق سبحانه وتعالى بما جاء فى السورة من أحكام وآداب .

ـ وتأتى الآية الثانية : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ... ﴾ [النور : ٢] .

ـ وعند التعرض لأحكام الربا :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ... ﴾ [البقرة: ٢٧٩] .

ـ وحد السرقة :

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ ... ﴾ [المائدة: ٣٨ ، ٣٩] .

ـ وحد القتل والقصاص :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ... ﴾ [البقرة : ١٧٨] .

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ... ﴾ [البقرة: ١٧٩] .

ثانياً : فى السنة النبوية :

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال :

« حد يعمل به فى الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحاً » رواه النسائى وابن ماجة .

وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال :

« تعافوا الحدود فيما بينكم ، فما بلغنى من حد فقد وجب » رواه النسائى وأبو داود .

وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال :

« من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله

في أمره » رواه أبو داود .

وعن عائشة رضي الله عنها : أن قريشاً أهمهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ؟ فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد قال : « يا أسامة ، أتشفع في حد من حدود الله ؟ إنما هلك بنو إسرائيل أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . . والذي نفس محمد بيده ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » رواه البخاري ومسلم .

* وفي تفصيلات بعض الأحكام :

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ « قطع في مِجَنٍّ ثمنه ثلاثة دراهم » رواه البخاري ومسلم .

ـ وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : «لا تقطعوا يد السارق إلا في ربع دينار فصاعدا » رواه البخاري ومسلم .

وقال رسول الله ﷺ : « من شرب الخمر فاجلدوه ، ثم إن شرب فاجلدوه ، ثم إن شرب فاجلدوه ، ثم إن شرب في الرابعة فاقتلوه » رواه أصحاب السنن .

كيف عطلت الشريعة ؟

تاريخ التراجع عن تطبيق الشريعة الإسلامية :

يعتقد أغلب المثقفين أن معركة الردة عن الشريعة الإسلامية قد بدأت منذ سنوات عديدة ، ولكن الأمر عكس ذلك تماماً .

ـ وإذا أردنا أن نحدد نقطة التراجع الإسلامية الأولى أمام هجمة النموذج الغربى .. يمكن القول أن ذلك حصل فى زمن السلطان العثمانى سليمان القانونى (١٥٢٠ ــ ١٥٦٦ م). الذى أعجب بنمط النظام الأوروبى وحاول تقليده ، فسن مجموعة من القوانين الاستثنائية بمساعدة خبراء أجانب ، وبتحريض من زوجته التى يقال بأنها كانت يهودية .

ولقد عرف السلطان سليمان بالقانونى لكثرة ما سن ، وأصدر قوانين دستورية متأثرة إلى حد كبير بالنموذج الغربى .

ولقد توج السلطان سليمان قوانينه تلك بسن قانون منح بموجبه ملك فرنسا « فرانسو الأول » ما عرف لاحقاً بالامتيازات الأجنبية ، وهى امتيازات منحت فرنسا حق رعاية الأقليات المسيحية فى منطقة الشرق العربى .

ـ وحين جاء نابليون إلى مصر فى حملته (١٧٩٨ ـ ١٨٠١ م) . . كان أول عمل قام به بونابرت بعد احتلاله مصر هو إلغاء قوانين الشريعة الإسلامية ، واستقدامه خبراء أجانب فى القانون الفرنسي لصياغة قانون مدنى وضعى يحل مكان الشريعة .

ـ وفى عام (١٨٧٥) أنشئ القضاء المختلط فى مصر . . والذى يقضى بغير ما أنزل الله فى شريعته بين المتخاصمين ولو كان فيهم مسلمون ما دام أن أحد الأطراف أجنبى .

ـ وفى العام التالى للاحتلال الإنجليزى لمصر (١٨٨٢) أنشئت المحاكم الأهلية التى صارت تطبق القانون الوضعى ، وانحصر اختصاص المحاكم الشرعية فى دائرة الأحوال الشخصية . . وبدأ صدور القوانين الوضعية تباعاً فصدر قانون العقوبات مأخوذاً فى كل مواده من القوانين الغربية ،ولم يكن فيه إلا مادة أو مادتان تشير إلى الشريعة الإسلامية إشارة نظرية دون تطبيق .

ـ وفى عام (١٩٣٧) وأثناء المفاوضات بين رئيس وزراء مصر وممثلى الدول الأوروبية . . وافق المؤتمرون فى مونتريه على معاهدة جنيف لإلغاء الامتيازات الأجنبية فى مصر إلا أنهم وضعوا شرطاً واحداً قبله رئيس وزراء مصر وهو : أن تستمد

مصر تشريعها من التشريع الغربى ، أى بعبارة أخرى أن تبتعد عن الشريعة .

ـ وفى عام (١٩٥٥) أصدر الرئيس المصرى قانون إلغاء المحاكم الشرعية (رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥) ليقضى على آخر أثر من مظاهر التحاكم إلى الشريعة .. وأحال اختصاص تلك المحاكم الشرعية إلى القضاء الوضعى .. وتم ذلك فى مظاهرة رخيصة اتهم فيها عالمان جليلان بما يمس الشرف والعرض .

وكان هذا هو الفصل الأخير فى مأساة إبعاد الشريعة عن الحياة .

حين تغيب الشريعة

أولاً : موقف الحكام الذين لا يحكمون بشريعة الله :

١ ــ يقول الإمام ابن القيم حول آيات سورة المائدة :

﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ـ الظَّالِمُونَ ـ الْفَاسِقُونَ**﴾[المائدة : ٤٤ ــ ٤٧] ونقل فيها عدة أقوال عن العلماء:

أ ــ « منهم من تأولها على أهل الكتاب وهو قول قتادة والضحاك وغيرهما . . وهو بعيد وهو خلاف ظاهر اللفظ فلا يصار إليه » .

ب ــ « ومنهم من تأولها على ترك الحكم بما أنزل الله جاحداً له . . وهو قول عكرمة . . وهو قول مرجوح لأن نفس جحوده كفر . . سواء حكم أم لم يحكم » .

جـ ــ « ومنهم من تأول الآية على ترك الحكم بجميع ما أنزل الله ، ومنهم من تأولها على الحكم بمخالفة النص متعمداً من غير جهل به ولا خطأ فى التأويل . . حكاه البغوى عن العلماء عموماً » .

د ـ « ومنهم من جعله كفراً ينقل عن الملة » .

وأوضح ابن القيم رأيه بقوله :

« والصحيح أن الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكفرين الأصغر والأكبر بحسب حال الحاكم :

ـ فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله فى هذه الواقعة ، وعدل عنه عصياناً مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة ، فهذا كفر أصغر .

ـ وإن اعتقد أنه غير واجب ، وأنه مخير فيه مع تيقنه أنه حكم الله ، فهذا كفر أكبر .

ـ وإن جهله وأخطأه، فهذا مخطئ، له حكم المخطئين»(١) .

٢ ـ ويقول الإمام ابن أبى العز :

« وهنا أمر يجب أن يتفطن له ، وهو أن الحكم بغير ما أنزل الله :

ـ قد يكون كفراً ينقل عن الملة .

ـ وقد يكون معصية : كبيرة أو صغيرة .

ـ ويكون كفراً : إما مجازيا وإما كفراً أصغر على القولين

---

(١) مدارج السالكين / ١ / ٣٣١ .

المذكورين .

وذلك بحسب حال الحاكم :

ـ فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه أو استهان به ، مع تيقنه أنه حكم الله ، فهذا كفر أكبر .

ـ وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله ، وعلمه فى هذه الواقعة وعدل عنه ، مع اعترافه أنه مستحق للعقوبة فهذا عاص ويسمى كفراً مجازياً أو كفراً أصغر .

ـ وإن جهل حكم الله فيها مع بذل جهده واستفراغ وسعه فى معرفة الحكم وأخطأه ، فهذا مخطئ له أجر على اجتهاده وخطؤه مغفور » (١) .

ثانياً : موقف الأتباع :

وحول قوله تعالى : ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ** ﴾ [التوبة: ٣١] وما ورد فيها من حديث عدى بن حاتم الطائى حين دخل على رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية فقال: ما اتخذناهم أرباباً أو ما عبدناهم . فقال ﷺ : « ألم

(١) شرح الطحاوية / ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

يحلوا لهم الحرام ويحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم ؟ » قال : بلى . قال : « فتلك عبادتهم إياهم » رواه الترمذى والبيهقى .

« بلى إنهم حرموا عليهم الحلال . . وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم . . فذلك عبادتهم إياهم » رواه أحمد والترمذى وابن جرير .

روى الترمذى (وحسنه) وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقى فى سننه وغيرهم عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال :

أتيت النبى ﷺ وهو يقرأ فى سورة براءة ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ** ...﴾ فقال : « أما أنهم لم يكونوا يعبدونهم . ولكنهم كانوا إذا أحلوا شيئا استحلوه . . وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه» .

وروى الإمام أحمد والترمذى وابن جرير عن عدى بن حاتم :

فدخل على رسول الله ﷺ وفى عنق عدى صليب من فضة وهو يقرأ هذه الآية : ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ** ...﴾ . قال : فقلت : إنهم لم يعبدوهم فقال : « بلى ، إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم . . فذلك عبادتهم إياهم » .

وقال السدى : « استنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم » .

وقال الألوسي : « الأكثرون من المفسرين قالوا: ليس المراد من الأرباب أنهم اعتقدوا أنهم آلهة العالم . . بل المراد أنهم أطاعوهم فى أوامرهم ونواهيهم » .

يقول الإمام ابن تيمية :

« وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا حيث أطاعوهم فى تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله . . يكونون على وجهين :

أحدهما : أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على هذا التبديل . . فيعتقدون تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله . اتباعاً لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر ، وقد جعله الله ورسوله شركا وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم .

الثانى : أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحلال ثابتا ، لكنهم أطاعوهم فى معصية الله ، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصى التى يعتقد أنها معاصى، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب » .

ثالثا :

الجهاد .. فريضة غائبة

الجهاد .. فريضة غائبة

ـ الجهاد فريضة .. ما فى ذلك شك .. وهل هناك شك بعد قول الحق تبارك وتعالى :

ـ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

ـ ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٧٤] .

ـ ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة : ٤١]

ـ ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّه وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة : ٢٩] .

والجهاد فريضة لها أسباب متعددة :

أولا : حتى لا يسود الكفر ولا تكون فتنة ويكون الدين كله لله :

أى قتال الكفار إذا رفضوا الإسلام ومنعوا المسلمين من تولى الحكم والسلطان لإقامة شرع الله وتطبيقه فى الأرض .

وقال الإمام الشافعى فى تفسير قوله تعالى : **﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾** : «الصغار أن تؤخذ منهم الجزية . . وتجرى عليهم أحكام الإسلام» (١) .

فهذا صريح فى أن قتال المسلمين إنما هو لإظهار دين الله بتطبيق شرائعه ، بعد أن يتولى المسلمون الحكم والسلطان .

وليس المقصود قتل غير المسلمين أو إكراههم على الإسلام؛ لأنه لو كان هذا هو المقصود لما شرعت الجزية ولما أقر الكافر عل كفره فى دار الإسلام .

والحقيقة أن بدء المسلمين لغيرهم بالقتال ــ إذا رفضوا الإسلام أو الجزية ــ إنما هو لمصلحة عموم المشركين الذين يخضعون لسلطان الكفر ؛ لأن المسلمين يريدون بهذا القتال رفع هذا الحكم الكافر عنهم وإزالة شرائعه الباطلة ورفع الحواجز عن عموم الناس لرؤية الإسلام وشرائعه ، فمن شاء آمن ومن شاء بقى على كفره (٢) .

---

(١) مختصر المزنى /٨/ ٢٧٧ .
(٢) أصول الدعوة / ٢٦٦ .

ثانيا : الجهاد فريضة لنصرة المستضعفين فى أنحاء الأرض:

يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً ﴾ [النساء : ٧٥] .

وهنا الخطاب للأمة كلها .. لاستجاشة مروءة النفوس وحساسية القلوب تجاه المستضعفين من الرجال والنساء والولدان.. وهم يتطلعون إلى الخلاص .. ويدعون الله أن يجعل لهم مخرجاً من دار الظلم والعدوان .

وكيف تقعدون عن القتال فى سبيل الله .. واستنقاذ هؤلاء المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ؟ هؤلاء الذين ترتسم صورهم فى مشهد مثير لحمية المسلم وكرامة المؤمن ولعاطفة الرحمة الإنسانية على الإطلاق .. هؤلاء الذين يعانون أشد المحنة والفتنة .. لأنهم يعانون المحنة فى عقيدتهم والفتنة فى دينهم .. والمحنة فى العقيدة أشد من المحنة فى المال والأرض والنفس والعرض .

ويقول القاضى أبو بكر بن العربى :

« إذا كان فى المسلمين أسراء أو مستضعفون فإن الولاية معهم قائمة .. والنصرة لهم واجبة بالبدن بألا تبقى منا عين تطرف .. حتى نخرج إلى استنقاذهم إن كان عدونا يحتمل ذلك .. أو نبذل جميع أموالنا فى استخراجهم .. حتى لا يبقى لأحد درهم من ذلك » (١) .

ويقول القاضى ابن نجيم :

« امرأة مسلمة سبيت بالمشرق وجب على أهل المغرب تخليصها ما لم تدخل حصونهم وحرزهم » (٢) .

وفى بلغة السالك فى مذهب الإمام مالك :

« وفك الأسير من الحربيين إن لم يكن له مال يفك منه فرض كفاية وإن أتى على جميع أموال المسلمين » .

ثالثا : الجهاد فريضة لاسترداد المقدسات ورد العدوان :

يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة : ٤١] .

---

(١) أحكام القرآن / ٢/ ٨٧٦ . (٢) البحر الرائق .

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾[البقرة: ١٩٠].

« وهنا اتفق المفسرون والمحدثون والفقهاء والأصوليون على أنه إذا دخل العدو أرضا إسلامية أو كانت في يوم من الأيام داراً للإسلام . . فإنه يجب على أهل تلك البلدة أن يخرجوا لملاقاة العدو فإن قعدوا أو قصروا أو تكاسلوا أو لم يكفوا توسع فرض العين على من يليهم. . فإن قصروا أو قعدوا فعلى من يليهم. . وثم وثم حتى يعم فرض العين الأرض كلها . . » (١) .

يقول الإمام القرطبي :

« إذا تعين الجهاد (صار فرض عين) بغلبة العدو على قطر من الأقطار أو بحلوله بالعقر (أصل الدار) .

فإذا كان ذلك وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافا وثقالا شبابا وشيوخا كل على قدر طاقته. . من كان له أب بغير إذنه ومن لا أب له .

ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج من مقاتل أو مكثر ، فإن عجز أهل تلك البلدة على القيام بعدوهم كان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا على حسب ما لزم أهل تلك البلدة حتى يعلموا أن فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم .

---

(١) الحق بالقافلة ـ عبد الله عزام / ١٨ .

وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم وعلم أنه يدركهم ويمكن غياثهم ، لزمه أيضاً الخروج إليهم .. فالمسلمون كلهم يد على من سواهم .

حتى إذا قام بدفع العدو أهل الناحية التى نزل العدو عليها واحتلها سقط الفرض عن الآخرين .

ولو قارب العدو دار الإسلام ولم يدخلها لزمهم أيضاً الخروج إليه .. حتى يظهر دين الله وتحمى البيضة وتحفظ الحوزة ويخزى العدو ولا خلاف فى هذا » (١) .

ويقول الإمام الشوكانى فى السيل الجرار :

« الأدلة الواردة فى فرضية الجهاد كتابا وسنة أكثر من أن تكتب هاهنا ، ولكن لا يجب ذلك إلا على الكفاية .. فإذا قام به البعض سقط من الباقين وقبل أن يقوم به البعض هو فرض عين على كل مكلف » .

ويقول الإمام ابن تيمية :

ـ « والعدو الصائل الذى يفسد الدين والدنيا ليس أوجب بعد الإيمان من دفعه » .

ـ « إذا دخل العدو بلاد الإسلام .. فلا ريب أنه يجب

---

(١) القرطبى / ٨ / ١٥١ .

دفعه على الأقرب فالأقرب ، إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة ، وأنه يجب النفير إليه بلا إذن والد ولا غريم .. ونصوص أحمد (بن حنبل) صريحة بهذا » (١) .

« فإذا أراد العدو الهجوم على المسلمين .. فإنه يصير دفعه واجباً على المقصودين كلهم وعلى غير المقصودين كما قال تعالى : ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ [الأنفال : ٧٢] كما أمر النبى ﷺ بنصرة المسلم .. وسواء كان الرجل من المرتزقة للقتال أولم يكن .. وهذا يجب بحسب الإمكان على كل أحد بنفسه وماله مع القلة والكثرة والمشى والركوب .. كما كان المسلمون لما قصدهم العدو عام الخندق لم يأذن الله فى تركه لأحد » (٢) .

ونصوص فقهاء المذاهب الأربعة صريحة قاطعة بهذا لا تحتمل تأويلاً :

١ ـ الأحناف :

فى حاشية ابن عابدين الحنفى :

« وفرض عين إن هجم العدو على ثغر من ثغور الإسلام.. فيصير فرض عين على من قرب منه .. فأما من

---

(١) الفتاوى الكبرى / ٤ / ٦٠٨ . (٢) مجموع الفتاوى / ٢٨ / ٣٥٨

وراءه ببعد عن العدو فهو فرض كفاية إذا لم يحتج إليهم فإن احتيج إليهم بأن عجز من كان قرب العدو عن المقاومة مع العدو.. أو لم يعجزوا عنها ولكنهم تكاسلوا ولم يجاهدوا .. فإنه يفترض على من يليهم ـ فرض عين ـ كالصلاة والصوم ، ولا يسعهم تركه ، وثم وثم إلى أن يفترض على جميع أهل الإسلام شرقاً وغرباً على هذا التدريج » (١) .

وفى « مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر» الحنفى :

« الجهاد فى اللغة : بذل ما فى الوسع من القول والفعل.. وفى الشريعة : قتال الكفار ونحوه من ضربهم ونهب أموالهم وهدم معابدهم وكسر أصنامهم ، والمراد الاجتهاد فى تقوية الدين بنحو قتال الحربيين والذميين إذا نقضوا والمرتدين الذين هم أخبث الكفار للنقض بعد الإقرار والباغين بدءاً منا فرض كفاية يفرض علينا أن نبدأهم بالقتال بعد بلوغ الدعوة وإن لم يقاتلونا .. فيجب على الإمام أن يبعث سرية إلى دار الحرب كل سنة مرة أو مرتين وعلى الرعية إعانته .. وإذا قام به البعض سقط عن الباقين .

ـ فإذا لم تقع الكفاية إلا بجميع الناس فحينئذ صار فرض

---

(١) حاشية ابن عابدين / ٣ / ٢٣٨ .

عين كالصلاة ، وإن تركه الكل أثموا .

ـ فإن غلب العدو على بلد من بلاد الإسلام أو ناحية من نواحيها ففرض عين . . فتخرج المرأة والعبد بلا إذن الزوج والمولى . . وكذا يخرج الولد من غير إذن والديه . . والغريم بغير إذن دائنه » .

٢ ـ مذهب المالكية :

يقول صاحب « بلغة السالك لأقرب المسالك فى مذهب الإمام مالك » :

« الجهاد فى سبيل الله لإعلاء كلمة الله تعالى كل سنة فرض كفاية ، إذا قام به البعض سقط عن الباقى .

ويتعين (يصير فرض عين كالصلاة والصوم) :

ـ بتعيين الإمام .

ـ وبهجوم العدو على محلة قوم . .فيتعين عليهم وعلى من بقربهم إن عجزوا ، ويتعين على المرأة والرقيق مع هذه الحالة ولو منعهم الولى والزوج والسيد ورب الدين إن كان مدينا .

ـ ويتعين أيضاً بالنذر .

ـ وللوالدين المنع فى فرض الكفاية فقط ».

٣ ـ الشافعية :

يقول الإمام النووى الشافعى :

« كان الجهاد فى عهده ﷺ فرض كفاية ، وقيل : عين ، وأما بعده فللكفار حالان :

أحدهما: يكونون ببلادهم ففرض كفاية .. إذا فعله من فيهم الكفاية من المسلمين سقط الحرج عن الباقين .

والثانى : يدخلون بلدة لنا فيلزم أهلها الدفع بالممكن وإن أمكن تأهب لقتال وجب الممكن حتى على فقير وولد ومدين وعبد بلا إذن » (١) .

٤ ـ الحنابلة :

وفى المغنى لابن قدامة الحنبلى قال : « والجهاد فرض على الكفاية إذا قام به قوم سقط عن الباقين ».

ويتعين فى ثلاثة مواضع :

ـ إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان حرم على من حضر الانصراف ويتعين عليه المقام .

---

(١) متن المنهاج للإمام النووى .

- إذا نزل الكفار ببلدة تعين على أهله قتالهم ودفعهم .
- إذا استنفر الإمام قوماً لزمهم النفير معه .

الأندلس ..
أعظم الأراضى الإسلامية المغتصبة

ـ فى ٢ يناير (١٤٩٢م) رفع الكاردينال (دبيدر) الصليب على الحمراء القلعة الملكية للأسرة الناصرية وكان ذلك إعلانا بانتهاء حكم المسلمين فى أسبانيا .

وبانتهاء هذا الحكم ضاعت تلك الحضارة العظيمة التى بسطت سلطانها على أوروبا طوال العصور الوسطى ، ولفترة دامت أكثر من ثمانية قرون .

ـ وبعد سقوطها شنت النصارى حرباً ضروسا ضد الإسلام والمسلمين . . كان هدفها استئصال كل أثر للإسلام والمسلمين فى هذه البلاد .

وحرم الإسلام على المسلمين وفرض عليهم تركه ، كما حرم عليهم استخدام اللغة العربية والأسماء العربية، وارتداء اللباس العربى ، ومن يخالف ذلك كان يحرق حياً بعد أن يعذب أشد العذاب .

ـ وسطور المأساة يصورها أبو البقاء الرندى . . الذى شهد

أحداثها فى فصولها الأخيرة فجاءت قصيدته فى رثاء الأندلس . . دمعة صادقة . . ونفثه حارة لا تحتاج مزيد تعليق:

لكل شىءٍ إذا ما تم نقصان
فلا يُغر بطيب العيش إنسانُ

هى الأمور كما شاهدتها دولٌ
من سرّه زمن ساءته أزمانُ

وهذه الدار لا تبقى على أحد
ولا يدوم على حال لها شانُ

فجائعُ الدهرِ أنواع مُنوعةٌ
وللزمانِ مسرات وأحزان

وللحوادثِ سُلوانٌ يسهلها
وما لِما حلَّ بالإسلام سُلْوان

تبكى الحنيفيَّة البيضاء من أسف
كما بكى لفراقِ الإلْفِ هَيمانُ

على ديارٍ من الإسلام خالية
قد أقفرتْ ، ولَّها بالكُفْرِ عُمرانُ

حيث المساجدُ قد صارت كنائسَ ما
فيهنَّ إلا نواقيسٌ وصُلبانُ

حتى المحاريبُ تبكى وهىْ جامدةٌ
حتى المنابر تَرثى وهْى عِيدانُ

تلك المصيبة أنست ما تقدمها

وما لها مع طول الدهر نسيانُ

يا راتعين وراء البحر في دعة

لهم بأوطانهمْ عزٌّ وسلطانُ

أعندكم نبأ من أهل أندلسٍ

فقد سرى بحديث القوم ركبانُ

كم يستغيث صناديدُ الرجالِ وهم

قتلْى وأسرى ، فما يهتز إنسانُ

ماذا التقاطعُ في الإسلام بينكمُ

وأنتمُ ـ يا عبادَ الله ـ إخوانُ

يا من لِذلَّةِ قومٍ بعد عزِّهِمُ

أحالَ حالَهمُ جورٌ وطغيانُ

بالأمس كانُوا ملوكًا في منازلهم

واليومَ ، هم في بلاد الكفرِ عُبْدانُ

فلو تراهم حيارَى ، لا دليل لهم

عليهم من ثيابِ الذل ألوانُ

ولو رأيت بكاهُمْ عند بيعِهمُ

لهالك الأمرُ ، واستَهْوتْك أحزانُ

يارب أمٍّ وطفلٍ حِيلَ بينهما

كما تُفرَّقُ أرواح وأبدان

وطفلةٍ مثلِ حسنِ الشمس إذ طَلعت

كأنما هى ياقوت ومَرْجانُ

يقُودها العِلْجُ عند السبى مكرهةً

والعين باكية ، والقلب حيران

لمثل هذا يذوبُ القلب من كمدٍ

إن كان فى القلب إسلامٌ وإيمانُ

الأقصى .. أعظم المقدسات المغتصبة

تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذى أَسْرَىٰ بِعَبْدِه لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء : ١] .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

« فضلت الصلاة فى المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة ، وفى مسجدى بألف صلاة ، وفى مسجد بيت المقدس بخمسمائة صلاة » رواه أحمد .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدى هذا » .

ويقول عبد الله بن عمر رضى الله عنهما :

« بيت المقدس بنته الأنبياء وعمرته ، وما فيه موضع شبر إلا وقد سجد عليه نبى أو قام عليه ملك » .

وفى الخامس من يونية عام (١٩٦٧) احتل اليهود القدس، واستولوا على ما بها من مقدسات .. وصار المسجد الأقصى تحت سيطرتهم ..وقام اليهود بتدمير مدخل المسجد الأقصى عند دخول القوات الغازية فى يونيو (١٩٦٧) .. وأقيمت الصلوات اليهودية فى ساحة الحرم الشريف .

وفى أغسطس (١٩٦٩) قام اليهود بجريمة إحراق المسجد الأقصى .. فى خطوة على الطريق لما يخططونه من تدمير للمسجد الأقصى كله ، وإقامة هيكل سليمان على أنقاضه .. ومن أجل هذا يقوم العمل على قدم وساق فى الحفريات والأنفاق حول المسجد تمهيداً للهدف النهائى وهو إزالة المسجد وإقامة الهيكل مكانه .

ـ ومما هو جدير بأن يذكر فى هذا المقام .. أن اليهود الصهاينة حين احتلوا القدس عام (١٩٦٧) . تجمهروا عند حائط المبكى .. وأخذوا يهتفون مع الأعور ديان :

ـ هذا يوم بيوم خيبر .

ـ محمد مات .. خلف بنات .

وجاءت العاهرات من اليهود .. لالتقاط الصور الفاضحة لهن فى ساحة الأقصى والمساجد .. وتحركت لذلك مشاعر

شاعر مسلم .. فأنشأ قصيدة رائعة يخاطب فيها الرسول الكريم ﷺ .. فى حزن وأسى قائلاً:

يا سيدى

عليك أفضل الصلاة والسلام

من أمة مضاعة

تقذفها حضارة الغراب والظلام

يا سيدى

منذ ردمنا البحر بالسدود

وانتصبت ما بيننا وبينك الحدود

متنا

وداست فوقنا ماشية اليهود (١)

وشاركه مشاعر الأسى والحزن .. شاعرنا نجيب الكيلانى:

وفى حزيران آذنتنا خطوب   كاسحات وضيعة ورعود
بنت صهيون فى المساجد تلهو   قد تعرت أفخاذها والنهود
بنت صهيون فى المدائن تجرى   ويهوذا على القباب يشيد
وعلى القدس مسحة من ضياع   وبكى يومها التراب الشهيد

---

(١) الشاعر / محمد الشيتورى ــ عن قادة الغرب يقولون .

وينطق شاعرنا عدنان النحوى بلسان الأقصى الحزين وقد داسته أقدام اليهود النجسة ، وهو المسجد الذى صلى بساحته من قبل الأنبياء :

وتلفت الأقصى لمكة لوعة　　أختاه تنهش أضلعى الغربان
أختاه أين المسلمون وحشدهم　　أين الملايين الغثاء أهانوا
أختاه وانقطعت حبال ندائه　　واغرورقت من دمعه الأجفان
وهوت معاول كى تدق حياضه　　وهوت على أمجاده الجدران

وحين لم يجد محمد صيام للمصيبة ما ينبغى لها من رد فعل لدى الأمة الإسلامية .. ولم ير سوى ما تعوده القادة من البيانات والشجب والاستنكار .. كانت سخريته البالغة المرارة والحزن معاً .. مخاطبا الأمة النائمة :

يا أمتى نامى هنية　　فالنوم أفضل للقضية
نامى فما مرت بنا　　أبداً كهاتيك البلية
كلا ولا كانت لنا　　يوماً زعامات غبية
نامى وسوف يحلها　　صخب الوفود العالمية
وليعبث الخصم اللئيم　　بكل سهل أو ثنية
والقدس تنهشها الذئاب　　بخسة وبلا روية
وتدوس مسرى المصطفى　　عصب التتار البربرية
نامى فما أحلى المنام　　بلا انتعاض أو حمية
نامى فإن النائمين　　يرون أحلاماً شهية

فتاوى علماء المسلمين حول قضية فلسطين واغتصاب القدس الشريف

فتوى علماء الأزهر الشريف فى وجوب الجهاد لإنقاذ فلسطين :

« يامعشر المسلمين ، قضى الأمر وتألبت عوامل البغى والطغيان على فلسطين .. وفيها المسجد الأقصى .. أولى القبلتين وثالث الحرمين .. ومنتهى إسراء خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه : أعدوا فيما بينكم كتائب الجهاد .. وقوموا بفرض الله عليكم .

واعلموا أن الجهاد الآن قد أصبح فرض عين على كل قادر بنفسه أو ماله .. وأن من يتخلف عن هذا الواجب فقد باء بغضب من الله وإثم عظيم .

فتوى لجنة الفتوى بالأزهر الشريف عام ١٩٥٦ م :

يجب عليهم على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم لرد هذه البلاد إلى أهلها ، وصيانة المسجد الأقصى مهبط الوحى

---

(١) الحق بالقافلة ــ عبد الله عزام / ١٨ .

ومصلى الأنبياء الذى بارك الله حوله .

وأن يعينوا المجاهدين بالسلاح وسائر القوى على الجهاد فى هذا السبيل ، وأن يبذلوا فيه كل ما يستطيعون حتى تطهر البلاد من آثار هؤلاء الطغاة المعتدين .

ومن قصر فى ذلك أو فرط فيه أو خذل المسلمين عنه أو دعا إلى ما من شأنه تفريق الكلمة وتشتيت الشمل فهو فى حكم الإسلام مفارق جماعة المسلمين ومقترف أعظم الآثام » .

المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية :

« إن قضية فلسطين هى قضية المسلمين جميعاً لارتباطها الوثيق بدينهم وتاريخهم وتراثهم وأنه لن يهدأ للمسلمين بال حتى تعود الأرض المقدسة إلى أهلها .

لذلك كان الدفاع عن فلسطين والعمل على تحريرها فرضاً على كل مسلم . . وكان القعود عنه إثما كبيراً » .

المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية :

« إن أسباب وجوب القتال والجهاد التى حددها القرآن الكريم قد أصبحت كلها متوافرة فى العدوان الإسرائيلى . . بما كان من اعتداء على أرض الوطن العربى الإسلامى ، وانتهاك

لحرمات الدين فى أقدس شعائرها وأماكنها . . وبما كان من إخراج المسلمين والعرب من ديارهم وبما كان من قسوة ووحشية فى تقتيل المستضعفين من الشيوخ والنساء والأطفال .

لهذا كله صار الجهاد بالأموال والأنفس فرضاً عينيا فى عنق كل مسلم يقوم به على قدر وسعه وطاقته مهما بعدت الديار » .

أحوال الأقليات المسلمة فى أنحاء العالم

الدم المسلم أرخص دم فى العالم :

فى هذه العبارة الموجزة يتلخص وضع المسلمين المستضعفين فى أنحاء العالم . . ولا يختلف وضع المسلمين فى الشرق عنه فى الغرب . . بل هى أوضاع متماثلة فى إفريقيا وآسيا وأوروبا . . وكل مكان فيه مسلمون مستضعفون .

والأمر لا يحتاج إلى بيان أمثلة ومؤكدات . . فيكفى أن يطلع الإنسان على الأخبار اليومية بالجرائد والمجلات ويسمعها فى الإذاعات ووكالات الأنباء . . ويراها فى التلفاز وعبر وسائل الاتصال . . سيجد معظمها يدور حول تلك الأحوال والمآسى . . ويعرضها صراحة دون مواربة أو إيهام .

ففى إفريقيا :

سنجد المآسى فى أكثر من دولة : أثيوبيا ــ إريتريا ــ تشاد ــ ليبريا ــ تنزانيا .

---

(١) حاشية ابن عابدين ٣ / ٢٣٨ .

وفى آسيا :

فى الفلبين ــ كوريا ــ تايلاند ــ الهند ــ الصين ــ بورما ــ بنجلاديش ــ كشمير .

وفى أوربا :

فى ألبانيا ــ بلغاريا ــ البوسنة الجريحة .

والسجل حافل بالمآسى . . ويبقى لمن يعتبر أن يقارن بين هذه الأوضاع . . وبين ما ذكره علماء الإسلام من فتاوى وأحكام .

ونستمع لما يقوله شعراء الدعوة . . فلعل حرارة العاطفة . . وصدق المشاعر . . أن يكون لها صدى فى النفوس . . وتأثير فى القلوب :

فهذا شاعرنا يصف إحدى المآسى . . ويصور مشاهدها :

هرعوا كأسراب الذئاب الضاريات من الكهوف

وتفجرت أحقادهم حربا على الدين الحنيف

بالأمس فى لبنان حيث الموت يفتك بالألوف

واليوم فى آسام يا للنار تنبض فى حروف

ـ وفى قصيدته الجامعة .. يتحدث بلغة الفقه والشعر معاً.. الداعية الفقيه الشاعر يوسف القرضاوى مخاطباً الأمة المسلمة التى وجب عليها الجهاد :

يا أمتى وجب الكفاح فدعى التشدق والصياح

ودعى التقاعس ليس ينصر من تقاعس واستراح

ودعى الرياء فقد تكلمت المذابح والجراح

* * *

سقط القناع عن الوجوه وفعلهم بالسر باح

عاد الصليبيون ثانية وجالوا فى البطاح

عادوا يريقون الدماء ولا حياء من افتضاح

عادوا وما فى الشرق نور الدين يحكم أوصلاح

كنا نسينا ما مضى لكنهم نكؤوا الجراح

أرأيت لبنانا وما يجرى به فى كل ساح

أرأيت شاتيلا وصبرا والبراجن والضواح

أرأيت من حملوا أناجيل البشارة والسماح

لم يخجلوا من ذبح شيخ لومشى فى الريح طاح

ذبحوا الصبى وأمه وفتاتها ذات الوشاح
عبثوا بأجساد الضحايا فى انتشاء وانشراح
وعدوا على الأعراض لم يخشوا قصاصا أو جناح
ما ثم معتصم يغيث من استغاث به وصاح

* * *

أرأيت كيف يكاد للإسلام فى وضح الصباح
أرأيت أقصانا وما هدم العدو وما استباح
أرأيت أرض الأنبياء وما تعانى من جراح
أرأيت كيف بغى اليهود وكيف أحسنا الصياح

* * *

يا أمتى صبراً فليلك كاد يسفر عن صباح
لابد للكابوس أن ينزاح عنا أو يزاح
والليل إن تشتد ظلمته نقول الفجر لاح
والفجر إن يبزغ فلا نوم وحى على الفلاح

وتبعه شاعر شاب قرأ المسألة الفقهية المشهورة :

(مسألة . . امرأة مسلمة سبيت بالمشرق وجب على أهل المغرب تخليصها) .

وقارن بينها وبين الواقع الأليم الذى يعيشه المسلمون الآن. . فكانت هذه الكلمات :

(١)

مسألة
فى كتب الفقة درسناها
ودهشنا لها ووعيناها
وقرأنا فتاوى العلماء
عن أرض يدهمها عدو
وامرأة سبى الأعداء
بالحق لقد جمع الرأى
قد وجب على الكل فداء
وجهاد قد فرض بحق
يشملنا رجالاً ونساء
لا إذنا تنتظر المرأة
والعبد كالحر سواء
والمال إلى آخر درهم
يستنفد فى خير فداء

وسيأثم منا فى المغرب

من أغفل للشرق نداء

(٢)

قد كنا كذلك فى عهد

يحكمنا فيه النبلاء

معتصم ذا رمز النخوة

قد أحسن فى الله بلاء

وأجاب على الفور امرأة

بلواء يتبعه لواء

وبلاد الروم له ذلت

تعساً للقوم الجبناء

وصلاح قد هجر البسمة

فالأقصى بأيدى الأعداء

لا يعرف للبسمة معنى

إلا بديار الإسراء

وملوك الصين لقد ناحت

فى هلع فقتيبة جاء

ليؤدب من عهداً غدروا

ويعلم من عدم وفاء

(٣)

والآن وقد ناحت أمم

قد فاقت من كل بلاء

الرد . . لقد كان بيانا

سطره مداد العملاء

نستنكر . . نشجب فى ذل

نتضرع ليخف بلاء

وسنعقد أضخم مؤتمر

تحضره وفود خرساء

ونوزع فى العالم صوراً

تعرض لمآسى نكراء

لعجوز يقتلها الجوع

وصغير يحلم بالماء

وعروس تنتهك جهاراً

إكراهاً تحترف بغاء

وجموع تفترش الأرض
فى ذل تلتحف سماء
ولفرط هوان لاحقنا
نستجدى آهات رثاء
يا ذل أما حان فراق
بالله عليك أما جاء
يا صاح أما آن الوقت
كى نرفع للحق لواء
ونجاهد من رباً كفروا
ونؤدب من غدراً جاء
ونحكم فى العالم نهج
وشريعة حب سمحاء
فالأقصى يشتاق أذانا
يشتاق صلاة ودعاء
يشتاق بكاء فى سحر
قد سئم عويلاً لنساء

الطريق إلى تحقيق الأهداف

١ ـ نقطة البداية .. تكوين الفرد المسلم.

٢ ـ تكوين البيت المسلم.

٣ ـ المجتمع المسلم .

١ ـــ نقطة البدء .. الفرد المسلم

والآن نتساءل : كيف تتحقق هذه الأهداف ؟ ومن سيحققها ؟

لاشك أن هذه الأهداف .. أهداف ضخمة .. ومهمات عظيمة .. تتطلب جهوداً متواصلة .. ومكثفة .. وجهداً وجهاداً وتضحية .. وصبراً ومثابرة .. وبخاصة أن الطريق لتحقيقها ليس مفروشاً بالورود .. وإنما تقف دونها عوائق وعقبات .. ويحول دون تحققها مؤامرات عالمية يقف وراءها أئمة الكفر والاستكبار العالمى من دول ومؤسسات ومنظمات .. تحالفت فيما بينها على هدف واحد .. ألا وهو تنحية الإسلام عن القيادة .. وإبعاده عن الحياة .

فمن سيحقق هذه الأهداف ؟

إن المسلمين .. كثير عددهم .. وفيرة ثرواتهم .. واسعة أوطانهم .. ومع ذلك فهم أذلة مستضعفون .. دماؤهم مسفوكة .. وأعراضهم منتهكة وثرواتهم منهوبة .. تتحكم فيهم قوى الكفر العالمية ..وتنفذ فيهم مخططاتها كيف تشاء .

وما ذلك إلا تصديق لحديث الرسول ﷺ حين قال :

« يوشك أن تداعى عليكم الأمم . . كما تداعى الأكلة على قصعتها » .

قالوا : أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟

قال : « بل أنتم يومئذ كثير . . ولكنكم غثاء كغثاء السيل .

ولينزعن الله المهابة من قلوب أعدائكم .

وليقذفن فى قلوبكم الوهن » .

قالوا : وما الوهن يا سول الله ؟

قال : « حب الدنيا وكراهية الموت » رواه أحمد والطبرانى وأبو داود .

وهذه الغثائية هى مرض المسلمين الأول وداؤهم العضال . . فقد تحالف عليهم الجهل بدينهم والغفلة عن مبادئه . . والتحلل من أصوله وأحكامه مع مؤامرات الأعداء المتصلة والمستمرة منذ عدة قرون واتخذت صوراً شتى من حروب إلى غزو فكرى تقوم به وسائل إعلام أو تعليم ومناهج فكر وتربية وتقف وراءها أحزاب ومنظمات ومؤسسات ثقافية وتربوية وإعلامية . . كان هدفها جميعاً مسخ الشخصية المسلمة .

ونزع مصدر القوة منها ألا وهى العقيدة .. وصارت الأمور هكذا حتى كانت ثمارها المرة من شباب المسلمين ورجالهم .. الذين بدلت موازينهم وأفكارهم ومثلهم .. وصارت غريبة عن موازين وأفكار ومثل الإسلام العظيم .

وعندئذ تباهى زعيم المبشرين « زويمر » بنجاح خطة الكيد الصليبى قائلاً :

« إنكم أعددتم نشئاً لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها .

أخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه المسيحية .. وبالتالى جاء النشء الإسلامى مطابقاً لما أراده له الاستعمار .. لا يهتم بعظائم الأمور .. ويحب الراحة والكسل ، ويسعى للحصول على الشهوات بأى أسلوب .. حتى أصبحت الشهوات هدفه فى الحياة .. فهو إن تعلم فللحصول على الشهوات .. وإن جمع المال فللشهوات .. وإذا تبوأ أسمى المراكز ففى سبيل الشهوات .. إنه يجود بكل شىء للوصول إلى الشهوات » [١] .

ـ هذا كله يؤكد أن إعادة بناء الشخصية المسلمة ..

---

(١) جذور البلاء / ٢٧٥ .

وتكوين الفرد المسلم الحق ذى الشخصية السوية النابعة من مبادئ الإسلام . . وأصول الإيمان . . هى نقطة البدء فى تحقيق الأهداف الإسلامية المنشودة .

ــ وهى سنة من سنن الله فى الكون والحياة . . أخبرنا بها الحق سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز حين قال :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] .

ــ ونبه عليها رسولنا الكريم ﷺ . . محذراً من الاغترار بالكثرة . . وكاشفاً طباع ومعادن الناس . . فقال : « الناس كإبل مائة . . قل أن تجد فيها راحلة » .

ــ وأحس بقيمتها الخليفة العظيم . . والقائد الفذ . . عمر ابن الخطاب رضى الله عنه . . فكانت أمنيته : « ولكنى أتمنى ملء هذا المسجد رجالاً كأبى عبيدة بن الجراح » .

ــ وورث هذا الفقة دعاة الإسلام فى العصر الحديث . . فها هو الإمام الشهيد حسن البنا يصارح ويوضح بقوله :

« أريد أن أكون معكم صريحاً للغاية فلم تعد تنفعنا إلا المصارحة . إن ميدان القول غير ميدان الخيال . . وميدان العمل غير ميدان القول . . وميدان الجهاد غير ميدان العمل . . وميدان

الجهاد الحق غير ميدان الجهاد الخاطئ » .

« يسهل على كثيرين أن يتخيلوا . . ولكن ليس كل خيال يدور بالبال يستطاع تصويره أقوالاً باللسان . . وإن كثيرين يستطيعون أن يقولوا ولكن قليلاً من هذا الكثير يثبت عند العمل . . وكثير من هذا القليل يستطيع أن يعمل . . ولكن قليلاً منهم يقدر على حمل أعباء الجهاد الشاق والعمل المضنى . . وهؤلاء المجاهدون وهم الصفوة القلائل من الأنصار قد يخطئون الطريق ولا يصيبون الهدف إن لم تتداركهم عناية الله ، وفى قصة طالوت بيان لما أقول » .

ـ ويجمل خلاصة قوله مرة أخرى :

« إن رجل القول غير رجل العمل . . ورجل العمل غير رجل الجهاد . . ورجل الجهاد فقط غير رجل الجهاد المنتج الحكيم الذى يؤدى إلى أعظم الربح بأقل التضحيات » (١) .

ـ وأوجزها فى جملة واحدة :

« إذا وجد المؤمن الصحيح . . وجدت معه أسباب النجاح جميعاً » .

---

(١) رسالة المؤتمر الخامس .

ـ وجاء خلفه العظيم الإمام الهضيبى . . مؤكداً فى بلاغة وإيجاز :

« أقيموا دولة الإسلام فى قلوبكم . . تقم على أرضكم » .

ـ وفهمها شباب الدعوة ورجالها . . حتى تغنى بها شاعر فحل من شعراء الدعوة ورجالها فى سلاسة ووضوح :

لابد مــن صنــع الرجـــــال ومـــثــله صنع الـســـلاح

وصنــاعـــــة الأبــطال عــلم قـــد دراه أولو الـصـــلاح

مــن لم يــلـقــن أصلــه مــن أهلــه فـــقــد الـنجـــاح

لا يــصـــنــع الأبــطــال إلا فى مـســاجــدنا الفــســاح

فى روضـــة الـقـــرآن فى ظل الأحـــاديث الصحـــاح

فى صـــحــبــة الأبرار ممن فى رحـــــاب الله ســـاح

من صمتهم فكر وذكر نطقهم وفعالهم شكر ومجلسهم رباح

* * *

لا يســتـــوى فى منطق الا يمـــــان سكـران وصـــاح

من همــه التـقــوى وآخـر همـــــه كــــأس وراح

شـــعب بغـــيــر عــقيـــدة ورق تــــذريـــه الــــريـــاح

من خـان حى على الصـلاة يخــون حى علــى الكفـــاح

ـ ويخاطب المليار مسلم :

يا ألف مليون وأين همو إذا دعت الجراح ؟

هاتوا من المليار مليونا صحاحاً من صحاح

من كل ألف واحداً أغزو بهم فى كل ساح

من كل صافى الروح يوشك أن يطير بلا جناح

ممن يخف إلى صلاة الليل بسادى الارتياح

ممن يعف عن الحرام وليس يسرف فى المباح

ممن زكا بالصالحات وذكره كالمسك فاح

ممن يهيم بجنة الفردوس لا الغيد الملاح

بكاء محراب ولكن فى الوغى كبش النطاح

مر على أعدائه ولقومه ماء قراح

الفرد المسلم الذى نريده

وهذا الفـرد المسلم المنشـود . . له مواصـفـات وصفـات أساسية نموذجـية . . أجملها الإمام الشهيـد حسن البنا فى عشر صفات :

« سليم العقيدة ــ صحيح العـبادة ــ متين الخلق ــ مجاهد لنفـسه ــ قـوى الجسم ــ مـثقف الفكر ــ منظم فى شـؤونه ــ حريص على وقته ــ قادر على الكسب ــ نافع لغيره » .

وهى كما ترى صفات متـعددة . . تتناول الجوانب المختلفة لشخصية الفرد المسلم . . حـتى تنمو هذه الشخصية فى تكامل وتوازن بين جـوانبهـا المختلفـة . . وهى لذلك تصلح أن تكون نموذجاً صحيحاً لبناء الفرد المسلم المنشود .

وسنلقى هنا بعض الضوء حول بعض هذه الصفات .

١ ــ العقيدة السليمة :

« ونقصـد بسلامـة العقيـدة . . تلك العقـيدة الإسلامـية الصحيحـة التـى كـان عليهـا السلـف الصالـح بعيدة عـن البـدع والخرافات .

تلك العقيدة التى صاغت المسلمين الأوائل وملكت عليهم مشاعرهم ووجدانهم وصارت كل شىء فى حياتهم .. وفجرت فيهم طاقات الخير والعمل الجاد .

عقيدة التوحيد الخالص التى تملأ قلب صاحبها بنور الإيمان يسير به على الطريق المستقيم .

ولا نقصد عقيدة التوحيد التى تبدأ وتنتهى بصاحبها فى دائرة الكلام والجدل .. ورحم الله الشاعر إقبال حين قال :

« كان التوحيد قوة فى الأنام

فصار التوحيد علم الكلام»(١)

وسليم العقيدة :

ـ هو المؤمن حقا بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، إيمانا راسخا لا يهتز أمام أى ضغط أو تشكيك .

ـ هو من يخشى الله وحده خشية تبعده عن المحارم :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك : ١٢] .

---

(١) طريق الدعوة ـ مصطفى مشهور / ١٠٦ .

ـ هو من يرجو الله وثوابه وجنته . . رجاءً يحفزه للعمل لمرضاته والمسارعة لطاعته .

ـ هو من يحب الله سبحانه وتعالى . . حبا يجعله متعلقاً به ويحفزه لطاعته وتقديم طاعته ومحبته على من سواه . . والتضحية والجهاد فى سبيله :

﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ . . .﴾ [التوبة : ٢٤].

ـ هو من يراقب الله فى سره وجهره : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ . . . ﴾ [المجادلة : ٧] .

ـ هو من يتوكل على الله فى كل أحواله وحالاته : ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ . وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ [إبراهيم : ١١ ، ١٢] .

ـ هو من يذكر الله بلسانه وقلبه . . ويتأثر بذكره . . ويداوم عليه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ [الأنفال: ٢] .

ـ هو من يشكر الله فى النعماء والسراء . . ويصبر على بلائه فى الضراء : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٩] .

« عجبا لأمر المؤمن . . إن أمره كله خير » .

٢ ـ صحيح العبادة :

« والعبادة لفظ له شموله فلا يقتصر على مجرد الشعائر والعبادات .

ولكنها : (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة) ، فالصلاة والصيام والزكاة والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين كل ذلك من العبادة » (١) .

وكل عمل من الأعمال المباحة والمعتادة . . ينقلب إلى عبادة بإخلاص النية لله سبحانه وتعالى .

« فما من شيء من المباحات إلا ويحتمل نية أو نيات ، يصير بها من محاسن القربات، وينال بها معالى الدرجات .

والمباحات كثيرة ولا يمكن إحصاء النيات فيها ؛ ولهذا قال بعض الصالحين : إني لأستحب أن يكون لى فى كل شيء نية حتى فى أكلى وشربى ونومى ودخولى الخلاء .

---

(١) متن المنهاج للإمام النووي .

فالقصد من الأكل التقوى على العبادة ، ومن الوقاع تحصين الدين وتطييب قلب الأهل والتوصل به إلى نسل صالح يعبد الله بعده فتكثر به أمة محمد ﷺ » [1] .

وصحيح العبادة :

ـ من يفهم حقيقة العبادة بمعناها الصحيح والشامل .

ـ من يتعرف على أحكام العبادة وشروط صحتها وآدابها وسننها ونواقضها ويلتزم بذلك فعلياً .

ـ وهو يحافظ على فرائض العبادات ولا يتهاون فيها أو يكسل عنها .

ـ وهو من يتقرب إلى الله بالنوافل والمستحبات :

« وما يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه .. فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها .. وإن سألنى لأعطينه .. ولئن استعاذنى لأعيذنه » رواه مسلم .

ـ وهو من يستحضر النية فى أعماله .. ويجددها .. حتى تتحول أعماله كلها إلى عبادة لله سبحانه وتعالى .

---

(١) إحياء علوم الدين / الغزالى / ٤ .

ـ وهو من يلتزم سنن وآداب النبى ﷺ .. فى كل أعماله.. فى مأكله ومشربه وملبسه وحركته وسائر أعماله :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

٣ ـ متين الخلق :

أ ـ والأخلاق هى ثمرة العقيدة والعبادة :

* فلا قيمة لإيمان بلا خلق .

« وليس الإيمان بالتمنى .. ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل » .

« آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان » .

* وميزان التفاضل بين المؤمنين هو حسن الخلق :

« وأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً » .

« إن أحبكم إلى يوم القيامة وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً » .

ـ وبدون الخلق الحسن تصبح العبادات حركات لا قيمة لها:

ـ فى الصلاة قال الحق سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] .

وقال الرسول ﷺ : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا » رواه الطبرانى .

ـ وفى الصوم يقول الرسول ﷺ :

« من لم يدع قول الزور والعمل به .. فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » .

ـ وفى الحج :

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٩٧] .

ب ـ والأخلاق قابلة للتقويم والتزكية :

أقسم الله سبحانه أحد عشر قسماً علي أن أخلاق الإنسان قابلة للتزكية والتعديل : ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا . وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا . . . قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ١ ـ ١٠] .

ووضع الرسول ﷺ قاعدة اكتساب الأخلاق وتقويمها :

«إنما العلم بالتعلم . . والحلم بالتحلم . . والصبر بالتصبر ».

وكـان من دعاء الرسـول ﷺ أن يحسن خلقـه : « اللهم اهدنى لأحـسن الأخلاق ، فـإنه لا يهـدى لأحسنهـا إلا أنت، واصرف عنى سيئها ، فإنه لايصرف عنى سيئها إلا أنت » .

جـ ـ والرسول ﷺ هو النموذج الكـامل والقدوة الحسنة .. لكل مسلم .. فى أخلاقه وسلوكه :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] .

٤ ـ مثقف الفكر :

وثقافة الفكر من الجوانب اللازمة فى شخصية الفرد المسلم المنشود . . وهى تشمل ثلاثة جوانب أساسية :

الجانب الأول :

المعرفة السليمة والمتكاملة للإسلام ، تمكن الفرد المسلم من التطبيق السليم على نفسه ، وتؤهله لحسن تقديمه للغير بشموله ونقائه وأصالته .

الجانب الثانى : هو :

١ ــ الإحاطة بظروف العالم الإسلامى ماضيه وحاضره ، وأعداء الإسلام وأساليبهم .

٢ ــ ومتابعة ما يدور فى أنحاء العالم من أحداث تؤثر من قريب أو بعيد على الإسلام والمسلمين .

٣ ــ ومعرفة العاملين فى حقل الدعوة الإسلامية واتجاهاتهم وأساليبهم وصور التعاون معهم .

الجانب الثالث :

هو إتقان التخصصات المختلفة المتصلة بشؤون الحياة كالطب والهندسة والزراعة والتجارة والصناعة وغير ذلك .

فلابد للفرد المسلم من إتقان تخصصه ليأخذ مكانه فى المجتمع وليسد الثغرة عند بناء الكيان الإسلامى (١) .

٥ ــ قوى البنية :

يقول الرسول ﷺ :

« المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . . وفى كل خير » رواه مسلم .

(١) طريق الدعوة / مصطفى مشهور / ١١٢ .

والفرد المسلم مطالب بالبحث عن أسباب القوة الجسدية والأخذ بها .

وقوة الجسد تحتاج إلى وقاية وتدريب .

ونقصد بالوقاية :

١ ـ الاعتدال والتحكم فى قضايا الطعام والشراب :

« ما ملأ ابن آدم وعاءً شر من بطنه .. بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه .. فإن كان لا محالة فاعلاً .. فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » .

٢ ـ الابتعاد عن أسباب الضعف والمؤثرات السلبية على الصحة مثل :

ـ تناول المنبهات بكثرة مثل الشاى والقهوة .

ـ والتدخين وتعاطى الكحوليات والمخدرات .

ومن هذا المنطلق أوصى الأستاذ البنا :

« أن تتجنب الخمر والمسكر والمفتر وكل ما هو من هذا القبيل » .

« أن تبتعد عن الإسراف فى قهوة البن والشاى ونحوها من

المشروبات المنبهة ، وأن تمتنع بتاتا عن التدخين » [1] .

٣ ــ الاطمئنان والمتابعة الدورية للحالة الصحية :

وذلك لاكتشاف أى تغيرات تطرأ على الجسم وسرعة علاجها قبل أن تستفحل .

ومن هنا كانت وصية الأستاذ البنا :

« أن تبادر بالكشف الصحى العام وأن تأخذ فى علاج ما يكون فيك من أمراض »[2] .

٤ ــ الأخذ بأسباب القوة والصحة الجسدية :

ــ وأولها النظافة المطلقة فى كل شىء من مأكل وملبس ومسكن وغيرها . . فقد بنى الدين على النظافة .

ــ ممارسة قدر من الرياضة حسب السن والطاقة ، وأقلها المشى المنتظم « علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل» ، « من تعلم الرمى ثم نسيه فليس منا » .

(١ ، ٢) رسالة التعاليم .

٢ ــ وخلقناكم أزواجا ..
تكوين البيت المسلم

حين تحدثنا عن الفرد المسلم الحق .. الذى هو نقطة البدء فى تحقيق الأهداف المنشودة ، فـإن هذا الفرد يشمل الأخ المسلم والأخت المسلمة على السواء .

وإن إهمال الأخت المسلمـة وإعدادها وتربيتـها .. إنما هو ثغرة فى البناء الإسلامى .. فإهمال الأخت المسلمة معناه :

إهمال نـصف الأمة لتتـحكم فيـه المناهج والنظم المخـالفة للإسلام ــ وتوجهه كيف شاءت بعيداً عن الإسلام .

ويتبع ذلك فقدان الزوجة المسلمة التى تعين الأخ المسلم فى دعوته وجهاده وحركته لتحقيق الأهداف الإسلامية .

ويتبع ذلك فقدان الأم المسلمة التى تربى أشبال الإسلام.. وتنتج الأجيال الجديدة من الدعاة والعاملين للإسلام.

وقبل ذلك تـرك الشـباب المسلم عـرضـة للفتن ومؤثـرات الشيطان متمـثلة فى الكاسيـات العـاريـات اللـواتـى لا يـصلحن

كزوجات أو أمهات كما يريد الإسلام .

من هنا وجب الاهتمام بالأخت المسلمة وتربيتها وإعدادها . . بمناهج دعوية وتربوية متكاملة .

وكان واجباً على الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يبحث كلاً منهما عن الآخر . . ولا يرضى له بديلاً كشريك فى الحياة الزوجية . . فعلى الأخ أن يختار ذات الدين التى فقهت رسالتها فى الحياة :

« تنكح المرأة لأربع : لمالها وحسبها وجمالها ودينها . . فاظفر بذات الدين تربت يداك » .

وعلى الأخت المسلمة كذلك ألا تقبل لنفسها زوجاً إلا صاحب العقيدة الذى يتقى الله فيها ويعينها على طاعة الله وتحقيق مرضاته :

« إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه . . إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » .

مواصفات البيت المسلم :

نريد من البيت المسلم أن يكون صورة صادقة حية للإسلام . . ونموذجا مصغراً للمجتمع المسلم الذى تحكمه شريعة الله .

ـ فهو البيت الذى تم اختيار أفراده بموازين إسلامية صحيحة ، سواء الزوج أو الزوجة .

ـ وهو البيت الذى تحكمه أحكام الإسلام وآدابه . . ويسوده الالتزام بكل ما فى الإسلام من فرائض وسنن وآداب وتصورات ومفاهيم .

ـ وهو البيت الذى يقوم فيه الرجل بدوره كراعٍ ومسؤول عن قيادة هذه الأسرة . . وله القوامة عليها . . ويؤدى واجباته تجاه زوجه وأولاده . . كما أمر الإسلام .

ـ وهو البيت الذى تقوم فيه المرأة بدورها كزوجة وأم . . وتؤدى واجباتها تجاه زوجها وأولادها . . كما أمر الإسلام .

ـ وهو البيت الذى يتربى فيه الأبناء على أصول الإسلام . . ويلتزمون فيه بواجبهم نحو الوالدين كما يريد الإسلام .

ـ وهو البيت الذى تختفى منه مظاهر الترف والإسراف والشقاق والتدابر . . وكل ما هو مخالف لأحكام الإسلام .

ـ وهو البيت المرتبط بالإسلام وفكرته ودعوته . . يحترم الفكرة والدعاة إليها . . ويساندهم . . ويشارك أفراده فى نشر الفكرة الإسلامية وما يرتبط بها من مبادئ وسلوك وآداب .

٣ ــ المجتمع المسلم

وهؤلاء الأفراد الذين توفرت فيهم صفات الفرد المسلم المنشود . . ويعملون جاهدين لتحقيق الأهداف الإسلامية المنشودة .

وهذه الأسر المسلمة التى تكونت وسارت على منهج الإسلام ، هل يصح أن تبقى ساكنة حتى تقام دولة الإسلام المنشودة ؟

إن واجب هؤلاء الأفراد . . وتلك الأسر . . أن تسعى لتحقيق المجتمع الإسلامى المنشود . . من خلال حركة إيجابية فاعلة . . وانتشار إيجابى وسط قطاعات المجتمع المختلفة .

وأجمل الأستاذ البنا الدور المطلوب فى إرشاد المجتمع :

« بنشر دعوة الخير فيه .

ومحاربة الرذائل والمنكرات .

وتشجيع الفضائل .

والأمر بالمعروف والمبادرة إلى فعل الخير .

وكسب الرأى العام إلى جانب الفكرة الإسلامية .

وصبغ مظاهر الحياة العامة بها دائماً » .

وهذا المجتمع الإسلامى المنشود :

ـ الذى تسوده المظاهر والأعراف والسلوكيات الإسلامية .

ـ الذى يسوده رأى عام متجاوب مع القضايا والمطالب الإسلامية يحتاج من الدعاة والعاملين جهداً وجهاداً . . وإعداداً وتنظيما . . طويلاً . . فالأمر صعب وشاق . . وخصوصاً وأن الشيطان ومن ورائه أجهزة الإعلام والتربية والثقافة والفنون ومؤسسات اجتماعية وثقافية وتربوية عديدة كلها تعمل فى اتجاه مضاد للإسلام فى معظم أنحاء العالم الإسلامى . . وتجذب الشعوب والرأى العام فيها بعيداً عن قيم ومبادئ الإسلام . .

والموضوع جد خطير . . ويحتاج مزيد تفصيل لا يتسع له المقام الآن فى هذا البحث الموجز ، ولعلنا أن نوفق فى بيانه فى بحث خاص إن شاء الله .

مراجع البحث

- الأحكام السلطانية — أبو الحسن الماوردى
- الإسلام وأوضاعنا السياسية — عبد القادر عودة
- أصول الدعوة — د . عبد الكريم زيدان
- الطريق إلى جماعة المسلمين — حسين بن محمد جابر
- مجموعة الرسائل — حسن البنا
- طريق الدعوة — مصطفى مشهور
- الحق بالقافلة — د . عبد الله عزام
- الحكم وقضية تكفير المسلم — سالم البهنساوى
- المستقبل لهذا الدين — سيد قطب
- السياسة الشرعية — ابن تيمية
- تفسير سورة النور — أبو الأعلى المودودى
- ماذا يعنى انتمائى للإسلام — فتحى يكن
- قادة الغرب يقولون — جلال العالم

ـ قواعد الدعوة إلى الله	د. همام عبد الرحيم سعيد
ـ الدعوة الفردية	عبد الحليم الكنانى
ـ شعراء الدعوة الإسلامية	أحمد الجدع ومأمون جرار
ـ نفحات ولفحات	د . يوسف القرضاوى
ـ الوجيز فى فقه الخلافة	د. صلاح الصاوى
ـ الإسلام وأصول الحكم	على عبد الرازق
ـ فتاوى علماء المسلمين	دار الفرقان

الفهرس

الموضوع الصفحة

رقم الإيداع: ١٤٣٤٠ / ١٩٩٧م
I.S.B.N :977-15-0225-5

هـذا الكتـاب

* يتطلب من الأمة الإسلامية ـ بما أنها خير أمة أخرجت للناس ـ أن تكون فى الطليعة دائما ، وفى مركز القيادة دائما ، مع ما يستدعيه ذلك من تبعات .
* وأول متطلبات هذه المكانة العملُ على حفظ الحياة البشرية من المنكر، وإقامتها على المعروف ، مع الإيمان الذى يحدد المعروف والمنكر .
* وفى مسيرة الأمة التاريخية لابد لها من أهداف وأدوار تناسب ظروف الواقع الذى تمر به ، ومتغيرات العصر الذى تعيشه .
* وفى هذا الكتاب بيان لأهم وأخطر الأهداف التى ينبغى أن تكون فى مقدمة اهتمامات المسلمين ، حتى يكونوا بحق خير أمة أخرجت للناس .
* **ودار الوفــاء** يسعدها أن تتقدم بهذا الكتاب إلى القراءالكرام والله ولى التوفيق .

الناشر



دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ ج.م.ع ـ المنصورة

الإدارة : ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب ص . ب ٢٣٠

ت : ٣٤٢٧٧٢١/ ٣٥٦٢٢٠/ ٣٥٦٢٣٠ فاكس ٣٥٩٧٧٨

المكتبة : أمام كلية الطب ت ٣٤٧٤٢٣